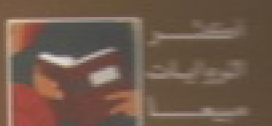
أكثر الروايات مبيعاً فى العالم

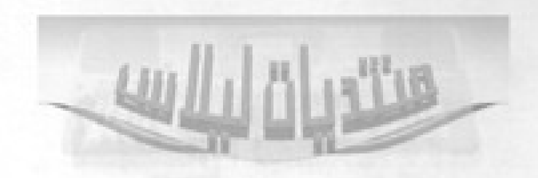
أجاثا كريستى

نسيج العنكبوت









نسيج العنكبوت

تأليـــــــف: أجاثا كريستي

تعـــريـــب: هشام محمد

الطبعة الأولى : (٢٠٠٣)

رقم الإيـــداع: ١٠٤٣١ / ٢٠٠٣

الناشر :

مكتبة النافذة

الجيزة : ٢ شارع الشهيد أحمد حمدي (الثلاثيني) . فيصل

ت: ٧٢٣٣٩٣٥ - م: ٠١٢٢٥٩٥٩٧٣

الفصل الأول

في إحدى ليالي شهر مارس تحولت قاعة قصر كوبلستون بمقاطعة «كنت» إلى أمسية فكاهية لطيفة بين رجلين أحدهما هو جوبيرش وهو فارع الطول أبيض الشعر بلغ الستين من العمر.

أما الثاني فهو السير رولاند ديلاهاي وهو متوسط الطول يتصف بالأناقة الشديدة لا يتجاوز الخمسين من العمر.

ودارت مباراة حامية الوطيس بينهما حول من يكون أبرعهما في تصنيف أنواع المشروبات الكحولية واستغرقت المباراة وقتا طويلا حتى أن سيدة القصر أصابها الملل وانصرفت لتدبير شئون بيتها.

وراح هوجوبيرش يتناول أمام منافسه قدحا من الشراب وهو يصيح:

- أوه إنه من إنتاج عام ١٩٤٢ فتناوله سير رولاند من يده وهو يكتب على ورقة موضوعة على المائدة الكاس رقم ٢ من نوع (دو) إنتاج سنة ١٩٤٢ .

ثم تناول سير رولاند الكاس رقم (١) بعد أن ارتشف منه قليلا وهو يقول هذا من نوع (كوكبيرن) إنتاج سنة ١٩٢٧ .

بعد ذلك نهض يقول بعد أن أحس بدوخة. لا داعي لتناول الكأس الثالث فهو من النوع الرديء.

فعلق بيرش وهو يتفحص الورقة التي كتبها رولاند قائلا على قائمة الشراب:

رقم (١) نوع (دو) إنتاج سنة ١٩٤٢

رقم (٢) نوع (كوكبيرن) إنتاج سنة ١٩٢٧

رقم (٣) نوع (ريتش روبي)

الآن جاء دوري، وأخذ المنديل من رولاند وربط به عينيه، واقترب منه منافسه سير رولاند لكي يتأكد أن المنديل مربوطا بدقة متناهية ثم قال له:

- تفضل يا هوجو.. اجلس على هذا المقعد.

- فقال هوجو: يجب أن تعرف يا سير رولاند أنني خبير في معرفة أنواع المشروبات الكحولية بل أكاد أتفوق عليك وسوف ترى الآن وبدأ هوجو يتناول القدح رقم (٣) وقبل أن يضعه على شفتيه اقتحم الغرفة شاب جميل في مطلع الثلاثين من العمر وكان يرتدي معطفا سميكا لحمايته من المطر وكان يلهث أنفاسه فيعلو صدره لأعلى تارة وينخفض لأسفل تارة أخرى كأنه كان في سباق ماراثون عاد إليه لتوه.

وصاح الشاب في الرجلين قائلا:

- ماذا حدث؟ تلعبون القمار بكئوس الشراب؟

- فقال هوجو مستنكرا من هذا الوغد؟

- فأجاب السير رولاند:

- إنه جيريمي وارندر.

- فقال هوجو: أوه.. تصورت أن معركة دارت في الغرفة بين فأر وقط واقترب جيريمي من الرجلين وهو يشهق ويزفر:

- قطعت المسافة بين باب القصر وحلبة الجولف ذهابا وإيابا حوالي ثلاث مرات وأنا أرتدي معطفي.. في أقل من ست دقائق و١٠ ثوان بينما قطعها سفير سلوفاكيا في أربع دقائق و٥٢ ثانية.. وارتمى جيريمي على أحد المقاعد وهو يقول:

- لكنني لا أظن أن السفير قطع هذا الرقم فعلا.

- فسأله سير رولاند:

- ما يدريك.. ربما فعل ذلك حقاً! ثم من أخبرك بذلك؟

- كلاريسا.

- فقال هوجو: لا تهتم بما تقوله كلاريسا.

وقال رولاند: يبدو أنك لا تعرف شخصية مضيفتك حق المعرفة يا جيريمي إنها سيدة تحلق بخيالها كثيرا في عنان السماء.

- فقال جيريمي وهو ينهض:

- أتظن أنها فبركت هذه الرواية لكي تسخر مني؟

فأجاب رولاند وهو مشغول في تقديم الكأس رقم (٢) لهوجو:

- نعم.. هي ليست بريئة من هذه التهمة.

- صحيح؟ إذن انتظر ماذا سأفعل بها؟ إنني كدت أموت من شدة الإجهاد.

قال ذلك وهو لايزال يلهث بصوت عال حتى أن هوجو صرخ في وجهه قائلا:

- أوه.. متى ستتوقف عن هذا اللهث؟ إن ذلك يقطع حبل أفكاري وأنا في منافسة شديدة مع سير رولاند وبيننا رهان على خمسة جنيهات.

- وعلى أي شيء كان الرهان بينكما.

- حول تصنيف أنواع المشروبات.

- فقال رولاند: ماذا قلت؟

- فقال هوجو: لا داعي للسرعة ولا تصدر حكما لا معنى له أعطني كأسا آخر.

- فقدم له سير رولاند الكأس رقم (١) وارتشف هوجو منه رشفة بسيطة ثم أعاده إلى رولاند قائلا: إنه من نوع (دو).

ثم ارتشف الكأس الثاني وأعقبه الثالث وهو يقول في ثقة:

الثاني نوع (كوكبيرن).

وتناول رولاند القدحين ووضعهما على المائدة وكتب في الورقة (رقم ٣) دو ورقم (١) كوكبيرن

فقال هوجو هل من الضروري أن أتذوق الكأس الثالث؟

فأجاب رولاند: نعم يجب أن تتذوقه وقدم له الكأس رقم (٢) ورفع هوجو الكأس إلى فمه ثم علق غاضبا:

- أوه.. إنه مشروب حقير ووضيع.

وأخرج منديلا من جيبه ليتخلص من آثاره على شفتيه وأردف يقول:

- كم من الوقت سيمضي حتى تنتهي رائحة هذا الشراب الملعون كان رولاند مهموكا بدوره في تذوق الكأس

الأخير ولم ينتبه لما قاله هوجو فتقدم جيريمي قائلا:

- أتقول إن النوع رقم واحد (رديء) أنه من نوع (دو) إنتاج ١٩٤٢ وهذا ثابت ومعروف.

- فعلق هوجو بعد أن فرك عينيه:

- يبدو أنك فقدت حاسة التذوق يا سير.

- فقال جيريمي: هل تسمحون لي بتذوق هذه المشروبات؟

وتناول رشفة من كل كأس حتى عاد يقول في ثقة وبغير تردد:

- أوه إنها جميعا من نوع واحد.

- فعقب هوجو قائلا:

إن الإفراط في الشراب أفسد لديكم حاسة التذوق.

ودخلت كلاريسا أثناء ذلك من الباب المؤدي إلى حجرة المكتبة.

كلاريسا كانت تتصف بالجمال والمرح والذكاء وطول القامة وهي في نحو الثلاثين من العمر.

توقفت كلاريسا أمام الرجال الثلاثة وهي تقول:

- ماذا تفعلون أيها الأعزاء؟ هل تخلصتما من خلافاتكما

يا سير رولاند أنت وهوجو؟

- فأجاب سير رولاند: نعم.

فقاطعه هوجو وهو يصرخ:

- هذا ادعاء سخيف فإن رقم (١) من النوع الرديء ورقم (٢) من نوع (دو) ورقم (٣) نبيذ كوكبيرن.. فأنا الأصح أليس هذا صحيحا يا كلاريسا؟

فتقدمت كلاريسا من رولاند وهوجو وقبلت كليهما وهي تقول:

- هيا معا إلى قاعة الطعام فهناك زجاجة موضوعة على المائدة.

- زجاجة..؟

- نعم إنها زجاجة واحدة وقد ملأت منها الكئوس الثلاث.. إنه يا أعزائي مشروب واحد لا ثلاثة كما ظننتم.

فانفجر جيريمي ضاحكا وهو يقول:

- كلاريسا.. إنك قاسية حقا.

- فعلقت قائلة: اسمعوني جيدا.. كنتما ترغبان في ممارسة لعبة الجولف وحالت الأمطار بينكما وبين الذهاب للملعب وفكرت في تدبير لعبة أخرى للترفيه عنكم والتسلية

واعتقد أنني نجحت في ذلك؟

- كلا.. كيف تفعلين ذلك إننا أكبر سنا منك يا كلاريسا.

أتسخرين منا.. ماذا تقصدين؟

- فقال هوجو ضاحكا: يا له من موقف سخيف كشف النقاب عن جهلنا.

- فقال رولاند: لا عليك يا هوجو.. دعنا نتناول ما تبقى من الزجاجة وغادر الرجلان حجرة الاستقبال متجهين لقاعة الطعام.

★ ★ ★

الفصل الثاني

وانطلق جيريمي ناحية كلاريسا بعد مغادرة الرجلين إلى قاعة الطعام قائلا في لهفة:

- كلاريسا.. ماذا عن القصة التي أخبرتني بها عن سفير سلوفاكيا؟

- ماذا تقصد؟

- أقصد.. هل حقا نجح في قطع المسافة بين القصر وملعب الجولف ذهابا وإيابا ثلاث مرات في حوالي أربع دقائق و٥٢ ثانية؟

- فعلقت كلاريسا وهي تضحك.. قائلة: إن سفير سلوفاكيا يتحلى بخفة الدم والروح وهو عجوز كهل، لا يستطيع حتى المشي على قدميه خمسة أمتار.

- إذن.. لماذا أخبرتني بعكس ذلك.. لماذا بربك؟

- لأنك تشكو من عدم ممارستك للرياضة طوال النهار فاخترعت هذه القصة لعلك تتحرك.

- كلاريسا.. لماذا تتعمدين الكذب دائما؟

- أبدا ولكن أحيانا تستدعي الضرورات الكذب وهذه ليست عادتي كما تقول يا جيريمي.

قالت هذا وهي في طريقها إلى الباب المؤدي إلى الحديقة.. وقال جيريمي:

- إنني تعرضت لحالة من الإجهاد الشديد حتى كاد ينفجر أحد شراييني، فضحكت وهي تقول لتغير دفة الحوار:

- إن الجو بات جميلا وأظن أننا سنمضي معا أمسية رائعة وجميلة وبدت وكأنها تتنفس الصعداء وأردفت تقول:

- ما أروع رائحة الحديقة بعد المطر.

- هل تروق لك الحياة هنا يا كلاريسا.

- نعم تروق لي بل أنا أحبها جدا.

فتقدم منها بضع خطوات وهو يقول:

- كلا.. إن مكانك الحقيقي في لندن إنك تعشقين المرح وسوف تصابين هنا بالملل والضيق والعزلة.

- بل العكس لقد مللت الحياة الدبلوماسية وبروتوكلاتها الجامدة السخيفة.

- إنك ستفقدين حياتك وحيويتك ومرحك هنا.

- كلا.. لا أتوقع هذا الذي تزعمه.

- أنسيت أن هنري يقيم في لندن.

فأجابت وهي تقوم بترتيب مقاعد القاعة:

- صحيح ماذا عن هنري الآن؟

- أنا لا أعرف لماذا تزوجتُ منه؟ هو يكبرك في السن ولديه ابنة في المدرسة كما أنه يفتقر إلى روح المرح والفكاهة ويبدو للرائين له صارما جامدا حادا عنيفا رغم وسامته وذكائه الحاد.

فتجاهلت كلاريسا حديثه كأنها لم تسمع منه شيئا ولم تعلق على قوله ثم أردف جيريمي يقول:هل تضايقت مما قلت؟

- فأجابت وهي تضع ساقا على ساق:

- كلا.. يمكنك أن تتحدث كما تشاء.

- فعقب قائلا: أهذا اعتراف منك بالخطأ؟

- كلا أنا لم أخطئ.

ثم أردفت تقول: هل تفكر في أن تطارحني الحب يا جيريمي؟

- بكل تأكيد.

- ما أروع هذا.

- كلاريسا.. أنا أحبك.

فانفجرت وصاحت قائلة: أنا مسرورة لسماع هذا الكلام.

- كـلامك لا يليق بالموقف.. كـان يجب أن تقـولي.. أنا آسفة..

- ولماذا؟ أنا مسـرورة لأن الناس تبـادلني الحب.. ولكن المفروض أن تضحي بأي شيء من أجل هذا الحب.

- فأجاب في غضب:

- ماذا تقصدين؟

- لنفرض أنني ارتكبت جريمة قتل هل.. ولكن.. دعنا من هذا.

- كلا.. استمري ماذا تقصدين؟

- إنك منذ قليل قلت لي عن شعوري بالملل.

- نعم حدث هذا.

- الحقيقة أنني بالفعل أشعر بالسأم والضجر وإن كنت أتغلب عليهما بممارسة هوايتي المفضلة.

- ما هي هوايتك المفضلة التي تمارسينها؟

. اسمعني جيدا يا جيريمي.. أنا بالفعل أعيش حياة تخلو من الإثارة.. حياة هادئة. لذلك لدي شغف شديد بممارسة لعبة أسميها «لنفترض».

- فأجاب في دهشة قائلا: «لنفترض»؟!

- فقالت نعم.. أقول لنفترض مثلا.. لنفترض أنني دخلت قاعة المكتبة ذات صباح وإذا بي أجد بداخلها جثة مقتولة فماذا أفعل؟ أو لنفترض أن سيدة قد جاءت لمقابلتي في أحد الأيام وأخبرتني أن هنري تزوجها سرا أثناء عمله في السفارة الإنجليزية بأنقرة.. فماذا سأفعل معها؟ أو لنفترض مثلا أني وجدت نفسي في أحد الأيام.. إما أن أقوم بخيانة بلدي وإما أن أرى هنري يلقى حتفه رميا بالرصاص فماذا أفعل؟

وابتسمت وهي تقول: أو لنفترض أنني هربت معك فما الذي سيحدث بعد هذا التصرف الأحمق؟

وهنا تقدم منها جيريمي بنظرات رومانسية وهو يضع يده في يدها قائلا:

- يا له من افتراض رائع وجميل ولكن....

- فأجابت وهي تضحك:

- تخيلت أننا هربنا معا إلى منتجع الريفيرا وأن هنري تبعنا إلى هناك وهو ثائر وبيده حامل مسدس.

- فانزعج جيريمي وقطب حاجبيه وهو يقول:

- يا إلهي!! مـاذا حـدث في تلك اللحظة هل ضـربني بالرصاص؟

ضحكت بصوت عال قائلة:كلا.. إنه قال لي في حدة «عزيزتي.. كلاريسا.عودي معي أرجوكِ وإلا قتلت نفسي برصاص هذا المسدس».

- أوه إنه رجل لطيف ونبيل.. وهذا ما أتوقعه من هذا الدبلوماسي المتزن.

- فقالت مبتسمة:في المرة الأولى تخيلت أنني رفضت مصاحبته لبلادنا مرة أخرى.

- يا لها من لعبة لطيفة حقا يا كلاريسا.

أثناء ذلك ترامت إلى أسماعهما صوت خطوات قادمة نحوهما فصاحت كلاريسا قائلة:

- أوه.. إنها بيا.

وتقدمت بيا وهي فتاة صغيرة لا تتجاوز الثانية عشرة من العمر مرتدية ثياب مدرسية وتحمل في يدها حقيبة كتب مدرسية.

هتفت كلاريسا:

- أهلا.. يا عزيزتي.

- أهلا.. يا كلاريسا.

- هيا بنا.. لقد تأخرت اليوم.

فخلعت بيا قبعتها وحقيبة كتبها على أحد المقاعد المجاورة ثم تقدمت نحو مقعد قريب واستوت عليه.

- وأجابت بيا تقول:

- نعم إن حصة الموسيقى كانت هي السبب في التأخير.هل لديك طعام؟ إنني أتضور جوعا.

- أنسيت طعامك اليوم؟

- كلا.. إنني أخذته معي وتناولته منذ قليل.. هل توجد كعكة أو أي طعام خفيف إلى أن يحين موعد العشاء؟

فأجابت كلاريسا وهي تضحك: اصحبيني لنبحث عن شيء يسد رمقك.

- هل توجد فطيرة من التفاح؟

- كلا.. لقد أنهيت عليها ليلة أمس.

* * *

في أعقاب انصراف كلاريسا وبيا إلى قاعة الطعام نهض جيريمي وانطلق ناحية المكتب القديم النادر الطراز وفي سرعة قام بفتح الأدراج وأغلقها وعيناه ترقب باب القاعة تحسباً لقدوم أحد.. وفجأة صدر صوت ينبعث من الحديقة يقول:

- هل يوجد أحد هنا؟

ونهض جيريمي يغلق باقي أدراج المكتب حتى أطلت مسز بيك لتقصي مصدر الصوت المنبعث من الحديقة.

كانت مسز بيك سيدة في العقد الرابع من العمر بدينة لطيفة تعمل في القصر طبقا لشروط العقد الذي أبرمه هنري هيلشام براون حين قام باستئجار القصر لكي تتولى مهام الإشراف على إدارة القصر للحفاظ على أثاثه ومفروشاته خاصة وأن معظم المستأجرين يتصفون بالإهمال والفوضى.

★ ★ ★

وقفت مسز بيك بالباب وهي ترتدي سروالا وحذاء طويلاً من المطاط يصل حتى ركبتيها وراحت تسأل:

- هل مسز هنري هيلشام براون هنا؟

فتقدم جيريمي يجيب:كانت هنا منذ قليل.. وذهبت مع بيا لتعد لها شيئا من المأكولات.

- أهذا أسلوب خاطئ فلا ينبغي أن يتناول الأطفال وجبات كثيرة هكذا.

- لماذا لا تدخلين يا مسز بيك؟

- كلا.. إن حذائي قد تلطخ بطين الحديقة.

وضحكت وهي تقول:

- إنني أريد أن أستفسر عن نوع الخضار الذي سنطهيه غدا

- الحقيقة أنني...

- لا عليك.. سوف أعود بعد دقائق.

وأردفت تقول:أرجو أن تحافظ على هذا المكتب يا مستر وارندر

- بالطبع سأفعل.

- إنه فخم ونادر من طراز ثمين.. وأرجو أن تفتح أدراجه بهدوء فأنا لاحظت أنك تغلقها بعنف وحدة.

- أنا آسف يا مسز بيك.. لقد كنت أفتش عن ورقة بيضاء.

- أوه.. الورق الأبيض في الدرج الأوسط.

- وأسرع جيريمي ناحية المكتب وراح يفتح الدرج الأوسط وضحكت مسز بيك وهي تقول: الغريب أن الناس لا يرون ما تحت أيديهم.

وغادرت وهي تضحك وضحك معها جيريمي وتوقف

فجأة حين غابت عن بصره وعاد للبحث عن الورق حتى اقدمت كلاريسا وبيدها بيا وهي تقول:

- إنها كعكة جميلة!!

- فقال جيريمي: كيف كان الحال في المدرسة هذا الصباح؟

- كانت فوضى.. ففي حصة المواد الاجتماعية لا يحلو لمسز ويلكنسون الحديث إلا عن الشئون السياسية الدولية.. ورغم هذا فهي لا تستطيع الحفاظ على النظام في الفصل.

- ما هي المادة الدراسية التي تفضلينها؟

- علم وظائف الأعضاء.. إنه جميل وممتع.

قالت ذلك وقد أخرجت كتابا من حقيبتها وأردفت تقول:

- أمس.. استطعنا تشريح ساق ضفدعة.

واقتربت منه وهي تفتح صفحات الكتاب قائلة:

- انظر معي ماذا وجدت في مكتبة خاصة ببيع الكتب القديمة؟

أنا متأكدة أنه كتاب نادر وغالي الثمن..إن عمره تجاوز المائة عام.

- ماذا بداخله يا بيا؟

- يضم موضوعات شتى.. عبارة عن سؤال وجواب. وفيه إرشادات غريبة فقطب جيريمي حاجبيه.. وأمسك بإحدى الصحف الموضوعة على مائدة مجاورة منه. وراح يقلب صفحاتها.

واتجهت بيا ناحية المكتب وتناولت مجموعة من ورق اللعب وهي تقول:

- هل ترغب في لعبة الكومي؟

- كلا.

- هذا محزن.. كنت أود في قتل هذا الوقت الممل خاصة في هذا الريف.

فألقى جيريمي بالصحيفة قائلا:

- هل تعشقين حياة الريف يا بيا؟

- هي بالطبع أفضل من الحياة في لندن.. ثم إن هذا القصر واسع وفسيح جدا.. ويضم حلبة ملعب التنس.. وأخرى للجولف. بل إن به مخابئ سرية.

- مخابئ سرية؟!

- نعم. انظر.

ونهضت إلى رفوف المكتبة وأخذت كتابا.. ومدت يدها

مكان الكتاب وضغطت على زرار تحركت مجموعة الرفوف وكشفت عن طاقة في الجدار وخلفه باب.

قالت بيا: هذا الباب يؤدي بك إلى غرفة المكتبة.

فصاح جيريمي قائلا: يا إلهي أهذا صحيح حقا؟

ودخل في الطاقة المجوفة وفتح الباب ووجد أمامه المكتبة فعلا.

حتى قال في دهشة:هذا صحيح.

وأغلق الباب وعادت بيا للضغط على الزر حتى عادت الرفوف إلى مكانها، وهي تقول:من غير الممكن أن يتخيل أحد هذا المخبأ.. إنني أستخدمه كثيرا وأنا في طريقي للمكتبة.. ثم إنه يتسع لجثة قتيل أليس كذلك؟

- يبدو أن هذا هو الهدف من وراء تأسيسه.

ودخلت كلاريسا أثناء ذلك وأخبرها جيريمي قائلا:

- المرأة الحديدية كانت تبحث عنك.

- فأجابت كلاريسا . تقصد من؟ مسز بيك؟ أوه إنني أمقت تلك السيدة وتناولت كعكة بيا والتهمتها في شراهة حتى صاحت بيا قائلة:

- توقفي.. إنها كعكتي.

فأجابتها كلاريسا وهي تعطيها ما تبقى من الكعكة.

- أوه يالك من طفلة جائعة.

تناولت بيا باقي الكعكة ووضعتها على المائدة وراحت تعبث بورق اللعب.

وتدخل جيريمي قائلا:

- لقد كانت تنادي بأعلى صوتها كأنها في صحراء شاسعة ثم راحت تملي علي شروطاً لفتح أدراج المكتب.

- يالها من امرأة وقحة.. لكنها مفروضة علينا.

- إنني شاهدتها من نافذة غرفتي هذا الصباح وكانت تحفر حفرة شاسعة عميقة كأنها قبر.

- إنها خبيرة في زراعة الخضروات.

* * *

وأقبل هوجوبيرش وتبعه سير رولاند في قاعة الطعام ورمق رولاند بنظرة لجيريمي تدل على الضيق والتبرم حتى فهم جيريمي دلالتها فابتعد عن كلاريسا ونظر سير رولاند نحو الباب المؤدي إلى الحديقة وهو يقول:أظن أن الجو أصبح صافيا.. ولكن الليل أسدل أستاره وليست هناك فرصة للعب الجولف..على أن ذلك لا يحول القيام بجولة

في ملعب الجولف. أليس كذلك يا هوجو؟

- فأجاب هوجو: سأحضر معطفي وأذهب معك.

ثم استدار ناحية جيريمي قائلا: وأنت يا جيريمي. ماذا ستفعل؟

- سأحضر معطفي وأذهب معكما.

وانصرف هوجو وجيريمي من القاعة وفي نفس اللحظة دخل الخادم أيلجن ليخبر بيا بأنه أعد لها طعام العشاء في قاعة الدرس فصاحت الفتاة: أوه ما أروع ذلك.. كدت أموت جوعا.

وجمعت أوراق لعبة الكومي وغفلت عن ورقة سقطت تحت الأريكة.

كان الخادم إيلجن مازال واقفا فنظرت إليه كلاريسا في استغراب وهي تقول:

- هل تريد شيئا آخر يا إيلجن؟

- عفوا يا سيدتي. هناك بعض المشكلات بشأن الخضروات.

- مع من هذه المشكلات؟

- مع مسز بيك.

- لماذا؟

لأنها تتردد على المطبخ دائما.. ولا تكف عن توجيه النقد لزوجتي.

- أنا آسفة لذلك يا إيلجن.. سأعمل على وضع النقاط على الحروف اطمئن.

- أشكرك يا سيدتي.

وغادر إيلجن الغرفة وتبعته كلاريسا بنظراتها حتى غاب عن الغرفة ثم عادت تقول: هؤلاء الناس سيرهقونني.

- فأجاب سير رولاند: من أين أتيت بهذا الخادم وزوجته؟

- من أحد أشهر مكاتب توريد الخدم.

أثنا ذلك أعادت بيا أوراق لعبة الكومي إلى رف الكتب وعقدت العزم على مغادرة الغرفة حتى صاحت كلاريسا قائلة:

- خذي الكعكة يا بيا.

فتناولت بيا الكعكة وهي تستدير للانصراف حتى صاحت كلاريسا مرة أخرى.

- خذي حقيبة الكتب.

- أنت بارعة يا كلاريسا لقد نجحت في تغيير سلوك الفتاة تماما.

فأجابت كلاريسا وهي تتناول سيجارة من صندوق على المكتب:

- أظن أنها باتت تبادلني الحب وتثق في دائما.

- إنها أصبحت لطيفة ورقيقة وتبدو لنا سعيدة.

- ربما تجربة الحياة هي السبب في ذلك خاصة حياة الريف.

ثم إنني ألحقتها في مدرسة راقية.. ولديها أصدقاء عديدون.

- من المؤسف حقا أن نرى طفلة في حالتها سابقا. كم تمنيت أن أقطع رأس ميراندا.

- الطفلة المسكينة كانت تتميز غيظا وترتجف رعبا من أمها، بل أنا نفسي أشعر بالغيظ من ميراندا إذا تذكرتها. خاصة أنها جلبت لهنري وبيا العذاب وتساءلت كيف تستطيع هذه المرأة أن تؤذي زوجها وابنتها هكذا؟

- إنه نتيجة منطقية لإدمان المخدرات.. إنها مدمرة لخلايا المخ.

- كيف وقعت في شباك الإدمان؟ من الذي ساعدها على ذلك؟

- أظن أنه السافل أوليفر كوستيللو. أعتقد أنه من كبار تجار المخدرات.

- أوه إنه رجل شرير. كنت دائما أخاف منه ولا أطيق رؤيته.

- إنها تعلقت به أليس هذا صحيحا؟

- نعم منذ أسابيع.

- على أية حال فقد تخلص هنري منها.. إنه شخصية رائعة ولطيفة حقا.

- هل تظن إنني في حاجة لسماع هذا الرأي.

- إنه لا يتكلم كثيرا.. ولكنه إنسان لطيف وذكي.

وأردف يقول: وماذا عن جيريمي؟

- أجابت مبتسمة: نعم هو لطيف ومسلي.

- توخي الحذر يا كلاريسا ولاداعي لارتكاب أية حماقة.

- تقصد ألا أقع في غرامه أهذا ما تقصده؟

- نعم فسوف يكون هذا حماقة كبيرة يا كلاريسا.. فأنا أعرفك منذ كنت طفلة ورأيتك تكبرين حتى صرت شابة

جميلة لطيفة ثم زوجة طيبة فأنا أعتز بك وأنت من أقرب الناس إلى قلبي.. وإذا شعرت أنك في ورطة فالجئي إلي بدون تردد أو حرج فأنا صديقك المخلص فقد كنت وصيا عليك يوما ما.

- بالطبع هذا صحيح يا عزيزي رولاند.

فتأثرت كلاريسا بأسلوبه الحنون حتى نهضت تقبله وجذبته وهي تقول:

- اطمئن.. لا تقلق عليّ من جيريمي يا عزيزي.

* * *

الفصل الثالث

انفجرت كلاريسا ضاحكة حين شاهدت مسز بيك تدخل من حديقة القصر بدون حذاء وهي تحمل بين ذراعيها ثمرة كرنب كبيرة الحجم.

- قالت:عفوا يا سيدتي.. لقد خلعت حذائي خارج المنزل حتى لا الطخ المفروشات بطين الحديقة. مسز براون هلا تفضلتي بالقاء نظرة على هذه الثمرة.

- فقالت كلاريسا :الواقع انها جيدة تخلو من العيوب.

- فصاحت المرأة:بالطبع.. إنها صالحة للاستعمال.. بل جيدة وليس بها عيوب.. إنني ذهبت إلى الطاهية فأبت أن تأخذها وقالت لي في حدة:

(إذا كان هذا هو انتاجك من الخضروات فعليك ان تبحثي عن مهنة اخرى).

والواقع أن الغضب تملكني حتى كدت ادق عنقها وأقتلها.

مسز براون.. إنني لا أحب أن اتحدث عن خدمك بما يسيء إليهم رغم ما لدي من معلومات كثيرة كفيلة بطردهم في الحال. وعلى أية حال فأنا لا أحب أن أتسبب في إهانة أحد وبالتالي فأنا لا أحب أن أتعرض لإهانة من أي أحد لذلك تجنبت الحديث معهما وقررت من الآن الا ادخل المطبخ نهائيا وعلى الطاهية أن تعد كل يوك قائمة بأنواع

الخضروات التي تريدها لليوم التالي وتتركها معلقة على باب المطبخ.

ورن جرس الهاتف أثناء حديث مسز بيك التي كانت بجوار سماعة التليفون وقد أمسكت بها على الفور وصاحت:

- آلو نعم إنه قصر كوبلستون.. من؟ تريد مسز براون؟ نعم هي هنا فتقدمت مسز براون ناحية سماعة التليفون وتحدثت مع الطرف الآخر.

- ألو.. أنا مسز براون.. ألو.. ألو.. ألو..هذا شيء غريب..يبدو أنه أغلق الخط.

ودخل هوجو الغرفة وبدت على وجهه علامات الدهشة حين شاهد مسز بيك تقف حافية بلا حذاء..ويبدو أن المرأة شعرت بالخجل من نظراته حتى همت بالانصراف.

وانتظر هوجو حتى غادرت الغرفة ثم راح يقول:

- هنري أيها المسكين..كيف يتحمل هذه المرأة؟

فأجابت كلاريسا وهي تمسك بكتاب بيا من فوق المقعد وتضعه على المائدة.

- إنه يرى أنها واقع لا فكاك منه.

- العجيب أنها تضحك كالأطفال.

فأجاب سير رولاند الذي تبع هوجو:

- أن أعراض التخلف تبدو عليها.

- فقالت كلاريسا:الحقيقة أنها لا تطاق..ولكنها بستانية رائعة وماهرة ثم إن شروط العقد تلزمنا ببقائها وأنتم تعرفون أن الإيجار زهيد للغاية لذلك رضخنا لهذا الشرط السخيف.

- ماذا تقولين..الإيجار زهيد للغاية؟

- نعم زهيد جدا..لقد علمنا بأمر هذا القصر من خلال إعلان منشور في إحدى الصحف فجئنا إلى هنا وتفقدنا غرفه واستأجرناه فورا لمدة ستة شهور.

- من هو صاحبه إذن؟

- كان صاحبه أحد أشهر تجار التحف في «ميدستون» يسمى سيلون ولكنه توفي.

- فقال هوجو:تذكرت..تقصدين محل «سيلون وبراون» إنني اشتريت منه ذات مرة مرآة نادرة الوجود..كان سيلون يعيش في هذا القصر ويتوجه إلى «ميدستون» كل صباح ويبدو أنه كان يلتقي عملاءه هنا أيضا.

فصاحت كلاريسا:

آه.. هذا يكشف النقاب عما حدث هنا أمس فقد جاء إلى هنا رجل يرتدي ثوبا متعدد الألوان الصارخة ولديه سيارة جميلة مكشوفة وكان يرغب في شراء هذا

المكتب. فقلت له إننا لا نملكه لذلك فلا نستطيع بيعه إلا أنه ظن أنني أكذب عليه فرفع سعر المكتب إلى خمسمائة جنيه فاستغرب سير رولاند ما سمعه حتى بادرها قائلا:

- يا إلهي. خمسمائة جنيه لهذا المكتب ونهض من مكانه وراح يدور حول المكتب ويتفحصه جيدا لكي يتوصل لسبب غلاء سعره.

وأثناء ذلك جاءت ببا من البهو وهي تقول في غضب:

- أوه يا كلاريسا إنني مازلت جائعة.

- فصرخت كلاريسا في فزع:

- هذا مستحيل!!

- لماذا وهل كوب من اللبن وقطعة من البسكويت وموزة تشبع نملة؟

وعاد سير رولاند يقول بعد أن انتهى من فحص المكتب:

- إنه من طراز رائع لكنه ليس من النوع الذي يتنافس عليه أحد لشرائه.

فضحك هوجو قائلا:

- يجوز بداخله درج سري يحتوي على عقد من الماس.

فصاحت ببا:

- هذا صحيح بداخله درج سري فعلا.

فانتبه الجميع في ذهول وقد التفتوا نحو ببا بينما صاحت كلاريسا:

- ماذا تقصدين؟

- فأجابت ببا: أقصد أن به درجا سريا.. إنني وجدت في محل يبيع الكتب القديمة كتابا موضوعه عن الأدراج السرية في الأثاث القديم وفحصت بدوري هذا المكتب حتى اكتشفت أن بداخله درجا سريا.

وأسرعت ببا إلى المكتب وقصدت الدرج الأوسط ومدت يدها نحوه فأخرجته من مكانه ووضعته بهدوء فوق المكتب ثم مدت يدها وأزاحت قطعة من الخشب كانت في جدار المكتب حتى ظهر درج صغير كان مختبئاً وراء الدرج الأوسط وصرخت ببا في سعادة وهي تقول:

- انظري يا كلاريسا.. انظروا معها أيضا.

فنظر الجميع في دهشة وراح هوجو يتناول الدرج الصغير ليتأمله وهو يصيح:

- يا إلهي.. ما هذا؟

كانت هناك ورقة مطوية فتحها وراح يقرأ ما بداخلها بصوت عال تقول كلماتها «خاب ظنك.. لقد تمكنت من الوصول إلى الكنز المخبوء قبلك حظ سعيد في المرة القادمة»

وعلق سير رولاند في ذهول:

- ما هو المقصود من وراء تلك الكلمات.

فصاحت بيا:

- أنا التي كتبت هذه الكلمات.

- أوه أنت فتاة شريرة!!

فقال هوجو :إذن أين الكنز؟

فأجابت بيا :الحقيقة أنني وجدت بداخله مظروف يحتوي على ثلاث ورقات في إحداها توقيع خاص من الملكة فكتوريا . هذا هو. وأسرعت بيا نحو رفوف المكتب وأخرجت صندوقاً صغيراً من الخشب المطعم بالصدف وقامت بفتحه ونزعت من داخله مظروفا قديما يضم ثلاث قصاصات من الورق حتى أن سير رولاند المذهول راح يسألها:

- هل تحبين جمع توقيعات المشاهير يا بيا؟

- نعم. ولكنها ليست شغلي الشاغل.

وراحت تخرج ورقة ناولتها إلى هوجو وأردفت تقول:

- لدي صديقة من هواة جمع الطوابع وأخوها لديه مجموعة رائعة، وفي الخريف المنقضي عثر على أحد الطوابع السويدية وهو يشبه هذا الطابع الملصق على هذا المظروف وأخبره بعض المهتمين بذلك بأن الطابع يساوي مئات الجنيهات.

ونظر هوجو إلى الورقة وقدمها إلى سير رولاند ثم أخذ من الفتاة بيا الورقتين الأخريين والمظروف بينما ظلت بيا تروي حكاية شقيق صديقتها وقالت في حماس:

- المؤسف أنه ذهب إلى أحد تجار جمع الطوابع وأوهمه أنه طابع عادي غير نادر لا يستحق أكثر من خمسة جنيهات وتقاضى الثمن وهو سعيد ظنا منه أن هذا المبلغ كبير بالنسبة لقيمة الطابع.

وفحص هوجو الأوراق وراح يقدمها لسير رولاند فقالت بيا:

- كم إذن يساوي توقيع الملكة فيكتوريا؟

- فأجاب سير رولاند وهو يتأمل المظروف ويفحص الطابع:

- ربما لا يتجاوز سعره أكثر من خمسة شلنات

فعلقت بيا:

- معي هنا أيضا توقيع من الأديب راسكين والشاعر العظيم براوننج ومن المؤكد أن توقيعهما لا يساوي ثمن الحبر المكتوب به.

وناولها سير رولاند المظروف والأوراق ونظرت بيا إلى كلاريسا وهي تقول:

- هل يمكنك أن تعطيني جزءاً آخر من البسكويت حتى

أتخلص من جوعي.

– طبعا يا عزيزتي طبعا.

فانطلقت بيا من الغرفة ومن خلفها هوجو الذي تصدر الباب لينادي:

– جيريمي.. جيريمي.. أين انت؟

فصاح جيريمي:

– أنا هنا وفي طريقي إليك الآن.

وسمع هوجو صوت خطواته وسرعان ما حضر وهو يحمل معطفه ومضرب لعبة الجولف.

فقال هوجو:

هيا معي.مساء سعيد يا كلاريسا.أشكرك على حسن ضيافتك واقتفى جيريمي خطاه وهو يردد نفس التحية لكلاريسا ثم اقترب سير رولاند من كلاريسا وهو يمسك بذراعها قائلا:

– ليلة سعيدة يا عزيزتي كلاريسا.. من المحتمل ألا نعود أنا وجيريمي قبل منتصف الليل.

– لماذا لا تتناولوا العشاء معنا هذه الليلة؟

– كلا.. مادام الخدم في إجازة.

– إن الجو جميل ورائع.دعني أصحبك إلى حلبة الجولف.

الفصل الرابع

وقف شاب في الثلاثين من عمره أمام باب القصر وقد ضغط على جرس الباب فنهض الخادم إيلجن وفتح الباب فبادر الشاب الأنيق ليسأله:

– هل مسز براون موجودة الآن؟

– من أنت كي أخبرها؟

– قل لها مستر كوستيللو.

– تفضل يا سيدي إلى قاعة الاستقبال.

وشعر إيلجن بالغرابة حين اكتشف أن قاعة الاستقبال تخلو من كلاريسا وضيوفها والتفت يقول للزائر:

– يمكنك الانتظار بضعة دقائق حتى أدعو مسز براون انها هنا ..لقد كانت هنا منذ قليل.عفوا ما هو اسمك يا سيدي؟ مستر كوستيللو؟

– نعم.. أوليفر كوستيللو.

وانصرف إيلجن من الغرفة لاستدعاء مسز براون وراح مستر كوستيللو يجول ببصره في أنحاء القاعة ثم تنصت على باب الردهة كما تلصص على الباب المؤدي للمكتبة.وحين تأكد من عدم وجود أحد أسرع إلى المكتب بسرعة وانحنى فوق الأدراج وحين رنت أقدام مسموعة

قادمة نحوه هرول إلى أحد المقاعد وارتمى عليه.. وإذا بمسز براون تقتحم الغرفة وما أن شاهدته حتى تسمرت مكانها وهي تصيح.

- أنت؟

وغلبت الدهشة وجه الشاب أيضا وهو يقول:

- كلاريسا!!.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- سؤال سخيف.. أنا هنا في منزلي.

- أوه أهذا منزلك حقاً؟

- لا تدعي أنك تجهل ذلك.

فقال كوستيللو وهو يتأمل البيت في وقاحة:

- ياله من بيت رائع لقد كان مملوكا لرجل معروف أنه أشهر تجار بيع التحف وأذكر أنه صحبني ذات مرة إلى هنا لشراء أحد المقاعد الأثرية.

أخرج كوستيللو سيجارة وأشعلها وهو يضع ساقا على ساق في ثقة ووقاحة وهو ينفث الدخان في الهواء قائلا:

- هل ترغبين في سيجارة؟

- كلا.. أشكرك.. أظن أن من المناسب أن تغادر المكان على الفور فزوجي على وشك الحضور الآن.. ولن يكون

مسرورا لوجودك هنا.

- فعلق كوستيللو في وقاحة:

- كيف ذلك وأنا أرغب في رؤيته. فأنا حقيقة جئت من أجل مقابلته أريد أن أتحدث معه لعلنا نصل إلى اتفاق.

- ماذا تعني؟ وعن أي اتفاق تتحدث؟

- أعني بيا.. فإن ميراندا لا تمانع من وجود بيا مع هنري طوال عطلة الصيف بل إنها توافق على بقائها معه أسبوعا كاملا في أعياد الميلاد أما غير هذا فهي...

- فقاطعته كلاريسا في غضب:

- ماذا تريد أنت وميراند؟ إن هذا بيت بيا ولا يمكن بحال من الأحوال أن تعيش في بيت آخر غيره.

- يبدو أنك قد نسيت أن المحكمة قضت لميراندا بحضانة ابنتها.

وراح يتناول كأسا من زجاجة كانت موضوعة أمامه وهو يقول:

- لعلك تعرفين أن هنري صدر ضده حكما غيابيا لصالح ميراندا على الطلاق كان هناك شرط يتعلق ببقاء بيا في حضانة والدها.

- يبدو أنك تجهلين شخصية ميراندا.. إنها تتغير من

لحظة لأخرى دون سبب منطقي لا تستقر أبدا على رأي.

- إنني واثقة أن ميراندا لا ترغب في احتضان ابنتها بتانا.

- لأنك لم تتجبي يا كلاريسا.

- وتناول كأسا آخر من الشراب وهو يقول:

- أنا متأكد أن ميراندا زوجتي في حاجة شديدة لابنتها بيا.

- كلا. هذا كذب.

- فأجاب كوستيللو: هدئ من روعك. فأنت تعرفين أنه لا يوجد اتفاق مكتوب بينهما.

- اسمع يا كستيللو. أنا لن أوافق على رحيلها من هنا للعيش معكما لقد جاءتني شبحاً وهيكلاً عظمياً حتى تمكنت من معالجة أمورها الخاصة وألحقتها في أرقى المدارس الإنجليزية.. وهي سعيدة بحياتها الآن.

- لا تنسي يا كلاريسا أن القانون في جانبنا.

فصاحت كلاريسا:

- أوه إنها إذن عملية ابتزاز واحتيال أليس كذلك؟

* * *

أثناء ذلك تقدم الخادم إيلجن نحو مسز براون قائلا:

- سيدتي كنت أبحث عنك. هل تسمحين لي بالانصراف مع زوجتي؟

- تفضل يا إيلجن.

فعاد يسأل وهو يتفحص كوستيللو:

- هل أنتظر قليلا؟

- كلا.. لا داعي للانتظار.

- أشكرك يا سيدتي.. ليلة هادئة وأحلام سعيدة.

- أشكرك يا إيلجن.

وانصرف إيلجن حتى عاد كوستيللو يقول:

- الابتزاز تعبير قاس وعنيف يا كلاريسا. هل أخبرتك عن أية أموال؟

- أنت لم تتكلم ولكنك تنوي الكلام عنها أليس كذلك؟

- الواقع أن وضعنا المالي بات حرجا هذه الأيام وميراندا كما تعرفين تتصف بالإسراف والتبذير ويبدو أنها تتوقع أن هنري سيزيد من حجم نفقتها خاصة أنه شديد الثراء.

- فعلق كلاريسا في غضب:

- اسمعني يا مستر كستيللو. أنا لا أتحدث عن

زوجتي. أنا أتكلم عن نفسي وينبغي عليك أن تعرف أن أي محاولة لانتزاع بيا من هنا سأقاتلك حتى النهاية. ولن أفشل في استخراج شهادة طبية تؤكد تورط ميراندا في إدمان المخدرات بل وسوف أبلغ بوليس اسكوتلاند يارد وسأطلب من إدارة مكافحة المخدرات أن تتولى مراقبتك.

– كلا. أنا أعتقد أن هنري لن يوافقك على هذه الخطوات.

– أنا لا أكترث برأي هنري. فأنا أهتم فقط بمصلحة بيا فقد تعرضت لمتاعب نفسية رهيبة يجب ألا تتعرض لها مرة أخرى.

★ ★ ★

دخلت بيا أثناء ذلك وهي تقول:

– كلاريسا. هل تعرفين أنني لم أعثر على أي قطعة من البسكويت؟

ثم نظرت نحو كستيللو حتى تجمدت وتسمرت في مكانها واحتواها الذهول واستبد بها الغضب فبادرها أوليفر كوستيللو قائلا وهو يرسم شبح ابتسامة على وجهه:

– أهلا. بيا.. اوه لقد كبرت ما هذا؟ إنك أصبحت عروسة جميلة فتقدم نحو الفتاة راغبا في مصافحتها إلا

أن بيا أبت وتراجعت إلى الوراء فصاح كوستيللو

– جئت هنا لأتحدث في موضوعك.. إن والدتك تشتاق لرؤيتك وترغب في أن تعيشي معها أو بمعنى أدق.. تعيشين معنا فقد تزوجنا أنا وهي.

فانطلقت بيا ناحية كلاريسا وهي تصيح في ذعر:

– كلا.. كلا.. لن أذهب إليها.. لن أوافق.

فأجابت كلاريسا وهي تحتضنها:

– اطمئني يا بيا.. إنك لن ترحلي من هنا ستعيشين معنا أنا ووالدك.

– فحاول كوستيللو الاقتراب منها وهو يقول:

– تأكدي يا بيا أن حياتك....

فقاطعته كلاريسا وهي تصيح:

– أرجوك دع الفتاة وشأنها.. لا دخل لك في حياتها. هيا اخرج من هنا ولا تعد مرة أخرى إلى هنا.

– وتلعثم أوليفر كوستيللو مذهولاً وحين هم بالرد على مطالب كلاريسا دخلت مسز بيك من باب الحديقة تحمل في يدها فأساً وقالت دون أن تلاحظ وجود الضيف الثقيل: مسز براون. أنت..

فقالت مسز براون والشرر يتطاير من عينيها:

- مسز بيك هلا اصطحبت مستر كوستيللو إلى خارج المنزل.

فصاح الشاب قائلا:

- مسز بيك؟

- فأجابت:نعم يا سيدي فأنا المسئولة عن حديقة القصر هنا.

- نعم هذا صحيح فقد حضرت ذات مرة إلى هنا لشراء بعض التحف.

- تقصد أن هذا في عهد مستر سيلون ولكنك لن تتمكن من مقابلته الآن لأنه توفي.

- كلا..أنا جئت لمقابلة مسز براون.

- وها هي أمامك.

فالتفت أوليفر ناحية كلاريسا وهو يقول كأن شيئا لم يكن.

- إلى اللقاء يا كلاريسا.سأراك قريبا.

وتقدمت مسز بيك تقوده إلى خارج المنزل وهي تقول له:

- من هنا يا مستر.هل معك سيارة؟

- نعم لدي سيارة تركتها بالقرب من الجراج.

واذرفت عيون بيا بالدمع وهي تقول لكلاريسا:

- أخشى أن يأخذني معه.. إنني أكرهه.. دائما كنت أكرهه.

- بيا!!

فانتابت بيا نوبة هستيرية وهي تصيح بأعلى صوت:

- سأقتله أو أقتل نفسي.

- فهدأت كلاريسا من روعها قائلة:

- تمالكي أعصابك يا بيا.تأكدي لن يحدث لك شيء.

- لا أريد العودة إليهما.. إنني أمقت أوليفر إنه وغد.. سافل.. شرير.

- أعرف هذا..أعرف هذا يا عزيزتي.

- ليته يلقى حتفه.. ليته يموت هذا الوغد الحقير.

- ربما يحدث هذا.تمالكي أعصابك.هدئي من روعك.

واذهبي الآن إلى الحمام للإستحمام لعل أعصابك تهدأ.

- إنك لن توافقيني على أن يأخذوني..أليس كذلك؟

- فقالت كلاريسا في حزم:على جثتي..اطمئني لن يصلوا إليك أبداً

★ ★ ★

الفصل الخامس

انصرفت ببا إلى غرفتها واستوت كلاريسا على أحد المقاعد وقد أطلقت لخيالها العنان في أمر ببا. وسرعان ما سمعت صوت الباب الخارجي يفتح ثم يغلق واقتربت منها صوت خطوات تتجه نحوها فنهضت من نومتها وهي تقول:

- أهذا انت يا هنري؟

- فأجابها.نعم أنا يا حبيبتي.

هنري براون كان أنيقا بلغ الأربعين من العمر صاحب وجه جامد بارد شأنه شأن كل رجال السلك الدبلوماسي.

كان يحمل في يده حقيبة أوراق. وضغط على مفتاح الإضاءة وألقى بالحقيبة على أحد المقاعد وتقدم ناحية زوجته التي قالت له:

- كان يوما شاقا وعسيرا..أليس كذلك؟

- إلى حد ما.

- هل ترغب في تناول الشراب؟

فقال وهو يسدل الستار على الباب المؤدي إلى الحديقة:

- ليس الآن..ألا يوجد أحد معك هنا؟

كلا..لا أحد.. فإن إيلجن غادر منذ قليل هو وزوجته وسيكون العشاء عبارة عن لحم بارد وحلوى. أما القهوة

فسوف أعدها لك بنفسي.

- ماذا؟

كان هنري شاردا وهو ما أثار حفيظة كلاريسا حتى نهضت تقول:

- هنري. هل أنت مشغول في أمر ما.

فسكت لحظة ثم قال:

- نعم.. إلى حد ما.

- هل يساورك القلق من ميراندا؟

- كلا. كلا.. فالمتاعب بعيدة عن كل هذا.

- فقالت: أتصور أن وراء التجمد السياسي تظهر بعض الانفعالات الإنسانية فهل هذا صحيح؟

- الواقع أن الموضوع خطير. ومثير.. إن الضباب أحاط بلندن طوال اليوم.

- وهل هذا الضباب هو سبب شرود ذهنك؟

- كلا. كلا ليس هذا هو السبب.

- إذن ماذا يكون السبب؟

فنظر هنري حوله بسرعة ثم بجوار كلاريسا وهو يقول:

- أسمعيني جيدا. سأقول لك سراً ينبغي ألا يعرفه أحد غيرك.

- اطمئن يا هنري.

- إنه سري للغاية. ويجب أن تحافظي عليه. ولكن أرى من الواجب أن أطرحه عليك.

- هنري.. ماذا في حوزتك؟! تحدث كلي آذان صاغية.

فنظر هنري حوله مرة أخرى ثم قال همسا:

- إن كالندروف في طريقه حالا إلى لندن بالطائرة.. للاشتراك في مؤتمر يعقد غدا.

وكان هذا الخبر يبدو في نظر كلاريسا عاديا لا يرقى إلى مستوى الأسرار وراحت تقول:

- أعرف هذا.

فأجاب في ذهول:

- كيف؟ كيف تسرب لك هذا الخبر؟

- قرأته في إحدى صحف الأحد الماضي.

- لا أعرف لماذا تستهويك قراءة الصحف الصفراء ثم إن هذه الصحف الملعونة لا يمكن أن تكون قد علمت بقدوم كالندروف حيث إن مجيئه يعد سراً من أسرار الدولة.

- فقالت كلاريسا ضاحكة:

- تقول إنها سر من أسرار الدولة يا لهم من موظفين بلهاء فنهض واقفا يجوب الغرفة ذهابا وإيابا وهو يقول:

- لابد أن هذا الخبر تسرب بشكل أو بآخر.

- عزيزي هنري. مهما كانت خطورة الأخبار وسريتها فإنها حتما ستجد طريقا تتسرب منه بسهولة ويسر. هذه حقيقة لاداعي لإنكارها.

- إن هذا الخبر قد أذيع منذ قليل. ومن المتوقع أن تهبط طائرة كالندروف بمطار «هيثرو» في تمام الساعة الثامنة والدقيقة الأربعين.. ولكن.. وانحنى أمامها وهو يقول بصوت خافت:

- هل أطمئن لك في الحفاظ على الأسرار؟

- بل أنا أكثر اطمئنانا من الصحف الصفراء.

- إن وكالات الأنباء العالمية تكتظ في صالة مطار هيثرو وسينتظرون قدومه وستنشر أخباره في كل أنحاء بريطانيا بسبب هؤلاء الصحفيين الأوغاد.

- استمر في حديثك.. إنني أشعر بالفضول.

- أتوقع أن قائد الطائرة إذا علم أن مطار هيثرو مزدحم بالمندوبين الصحفيين فسوف يتجه بطائرته ناحية إلى مطار «بلندلي هيث» الذي يبعد عن منزلنا نحو خمسة عشر ميلا.

- أوه إنك تتصفين بالفراسة والذكاء يا عزيزتي. نعم ستهبط الطائرة في هذا المطار وسوف أستقل السيارة

الخاصة لأستقبل كالندروف وأحضره هنا.

يحضر سيرجون بالسيارة من لندن إلى هنا مباشرة. وسوف يظل اجتماعهما هنا حوالي ثلث الساعة تقريبا على أنه يعود كالندروف بعدها إلى لندن بصحبة سيرجون.

وأردف يقول بعد لحظات من التفكير:

- هل أخبرك بشيء آخر يا كلاريسا؟ إنني أظن أن هذا اللقاء قد يكون بداية صعودي إلى سلم المجد. خاصة أن وجود الرجلين هنا في رفقتي يعد دعما لمنصبي وتأكيدا على ثقة الوزارة في شخصي لأنني أتوخى الحذر في الأنباء التي أعرفها.

- فنهضت كلاريسا وهي تضحك في سعادة.

- ما أروع هذا يا هنري.. إن هذا شيء عظيم.

- آه.. إن الاسم الذي سيرمز به كالندروف هنا هو مستر جونز.

- مستر جونز؟

- إنه يعتقد أن الحذر يستوجب ذلك.

- مستر جونز!! ألا يوجد اسم أجمل من هذا؟ ثم ماذا سيكون موقفي؟ هل سأكون مجرد وصيفة تقدم لهم الشراب فقط أم سأتعامل كسيدة القصر؟

فأجاب هنري في هدوء:

- هذا أمر يتطلب تفكير عميق.

- هنري..أنا أريد أن أعرف حدود الدور الذي سأقوم به.

فكر هنري لحظات ثم أردف قائلا:

- أرى أن من الحكمة أن تختفي يا كلاريسا.

- حسنا.. ولكن ماذا عن الطعام؟ هل سيتناولان شيئاً؟

- كلا.. كلا..لا تتوافر لدي معلومات عن هذا.

- ما هو رأيك في بعض شطائر اللحم البارد..والقهوة؟! ألا يروق لهما ذلك؟ أما أنا فسأكتفي بتناول قليل من مشروب الكاكاو.

- فأجاب هنري في غضب:

- كفاك دعابة يا كلاريسا.

- فانفجرت ضاحكة وهي تحتضنه قائلة:

- اطمئن يا عزيزي.كل شيء سيكون على ما يرام.

- وماذا عن سير رولاند؟

- سيتوجهان إلى لعبة الجولف ولن يعودا قبل منتصف الليل.

- حسنا.وحين يعودون سوف ينتهي اللقاء المرتقب.

وراح يفتش في ذاكرته عن الاسم المستعار لكالندروف فسعفته كلاريست تذكره:

- مستر جونز!

- صحيح..الآن أود أن أغفل قبل ذهابي للمطار.

فأجابت كلاريسا: أما أنا فسوف أذهب لإعداد الطعام.

وغادرت الغرفة إلى البهو بينما تناول هنري حقيبة أوراقه ونهض يطفئ الأنوار وهو يقول:

- كلاريسا.. أرجوكِ اقتصدي في الإضاءة..إننا هنا ندفع قيمة الفاتورة بخلاف أيام لندن.

وغادر الغرفة وأغلق الباب.

* * *

غاصت الغرفة في ظلام دامس وإن تسربت إليها حزمة من ضوء القمر المنير وسرعان ما تسلل أوليفر كوستيللو من الباب المؤدي إلى الحديقة وقام بفتح أستار الغرفة ليغمرها ضوء القمر ثم تقدم صوب المكتب وأضاء مصباحا كهربائيا أحضره معه وقام.

ثم تقدم صوب المكتب وأضاء مصباحا كهربائيا أحضره معه وقام بفتح الدرج الأوسط ثم الدرج الصغير وفجأة أطفأ المصباح حين سمع صوت خطوات ينبعث من خارج

الغرفة وتجمد مكانه وحين ابتعد الصوت عنه شعر بالاطمئنان وأضاء مصباحه مرة أخرى ونظر متأملا في الدرج السري، ووجد به ورقة مطوية فوضعها في جيبه دون أن يرى ما فيها.

وفي تلك اللحظة. تحركت مجموعة رفوف الكتب ببطء. وامتدت من خلفها يد تمسك عصا وشعر أوليفر بحركة من خلفه فالتفت بسرعة وهو يهمس:

- ما هذا؟

وفجأة هوت العصا على رأسه بضربة قوية هوى وسقط على أثرها ممددا خلف المكتب. في نفس هذه اللحظة صاحت كلاريسا تقول من خارج الغرفة؟

- هل ترغب في شطيرة يا هنري؟

وفتح هنري باب قاعة الاستقبال. وصاح بأعلى صوته مجيبا على زوجته.

كلا.. المفروض أن أذهب الآن.

فقالت كلاريسا: ولماذا هذا التسرع.. إن الطريق لن يستغرق منك أكثر من ثلث الساعة.

- ما يدريني لعل السيارة تتعرض لعطب في الطريق.

- أوه لماذا أنت هكذا تتوقع المتاعب مستقبلا؟

- صحيح أين بيا أنا لم أرها منذ قدومي.

- إنها في قاعة المذاكرة وسألحق بها لتناول العشاء معها.

- أنت رائعة يا كلاريسا تعطفين عليها أكثر من أمها بل إن أمها كانت حمقاء لم تعطف عليها أبدا.. لقد تعذبت كثيرا لولا وجودك يا عزيزتي.

- لا داعي لهذا المدح.. اذهب الآن إلى مقابلة مستر جونز باله من اسم سخيف ولكن أخبرني من أي باب ستدخلون؟

- أظن أن الأنسب أن ندخل من الحديقة.

- أرجوك لا تنسى ارتداء معطفك فالجو مائل للبرودة.

- حسنا.. سأفعل يا عزيزتي.

- ثم.. ثم تحلى بالحذر والحرص الشديد في قيادة السيارة.

فنظر إليها وابتسم.

- إلى اللقاء يا حبيبتي.

- إلى اللقاء يا حبيبي.

★ ★ ★

واصطحبته كلاريسا حتى الباب الخارجي ثم اندفعت مهرولة إلى المطبخ حيث أعدت الشطائر ثم توجهت إلى قاعة الاستقبال لإعدادها.

فوقعت عيناها على أحد كتب بيا حتى انحنت تحمله من الأرض وذهبت به ناحية رفوف المكتب ولكنها فجأة تعرقلت أثناء سيرها في جثة أوليفر وصرخت مذعورة حتى تجمدت مكانها كالصنم لثوان ثم انطلقت كالسهم نحو الخارج إلا أنها توقفت وعادت مرة أخرى لتطلع على هوية القتيل وقد عرفت أن صاحبها هو أوليفر.

وهمست بصوت خافت:أوليفر.

وأسرعت إلى الباب المؤدي إلى الحديقة لاستدعاء هنري وأدركت أن هنري لن يسمع صوتها فعادت إلى داخل المنزل متوجهة إلى التليفون وطلبت رقما ثم ترددت ووضعت السماعة.

وبعد تفكير عميق قامت بسحب الجثة من قدميها إلا أن رفوف المكتبة تحركت مرة أخرى فظهرت بيا فجأة من خلف الرفوف!!

أسرعت كلاريسا بالوقوف بينها وبين الجثة وحاولت أن تسحبها بيدها وهي تصرخ:

– لا تنظري يا عزيزتي..أرجوك لا تنظري.

فأجابت الفتاة بصوت متحشرج:

– صدقيني يا كلاريسا ..لم أكن أتمنى هذا..

فأمسكت كلاريسا بذراعيها وصرخت في فزع:

– أنت التي.....

فقاطعتها بيا وقد عاودتها نوبة الهستيريا مرة أخرى تقول:

– إنه مات أليس هذا صحيحا؟ إنني لم أرغب في قتله ..هل تفهميني؟!

وأجهشت بالبكاء حتى قالت كلاريسا في هدوء:

– أوه يا عزيزتي يا بيا.. تعالي معي.. تعالي.

ورافقتها إلى أحد المقاعد وأجلستها عليه.

قالت الفتاة وهي تبكي بحرارة:

– صدقيني يا كلاريسا.. أنا لم أرد قتله أبدا.

– فقالت كلاريسا في حنان وأمومة:

– أنا أصدقك يا بيا وأعرف ذلك.

وعادت الفتاة تبكي بصوت عال حتى صاحت كلاريسا في وجهها:

– بيا.. اسمعيني جيدا وكفي عن البكاء..إن الأمر سيكون على ما يرام.. حاولي نسيان هذا الموضوع أتفهميني ماذا أقول؟

– نعم المشكلة أنني..

– بيا تأكدي أنني سأكون بجانبك ولكني اسمعي ما سآمرك به:

فأردفت كلاريسا تقول:

– يا.. لماذا لا تجيبين عن سؤالي هل ستفعلين ما سآمرك به؟

فأجابت الفتاة وهي تبكي:

– نعم سأفعل.

– إذن اصعدي إلى غرفتك واذهبي إلى مخدعك.

– هل ستصحبني؟

– نعم سألحق بك إذا استطعت وسوف أعطيك قرص منوم يساعدك على النوم وسوف تستيقظين في الصباح وقد انتهى كل شيء كأن شيئا لم يكن وصدقيني لن تنزعجي بعد الآن.

– لكنه مات.. أليس هذا صحيحاً؟ إنه مات.

– ربما يكون حيا سأتأكد من الأمر.

فغادرت الفتاة وهي لاتزال تبكي.

– لنفترض أنني وجدت جثة في قاعة الاستقبال فما هو الحل؟

* * *

الفصل السادس

وعاد سير رولاند ومعه هوجو وجيريمي بعد حوالي ربع الساعة كانت أوراق اللعب والفيشات وغير ذلك من أدوات لعبة البريدج التي كانت موضوعة على مائدة توسطت القاعة ضمت حولها أربع مقاعد.

وهتفت كلاريسا حين وقع بصرها على الرجال الثلاثة.

– الحمد لله.. كنت أخشى عدم قدومكم.

فأجاب سير رولاند:

– ماذا حدث يا كلاريسا؟

فقالت وقد أحاطوا بها:

– أيها الأصدقاء. يجب أن تساعدوني.

فقال هوجو:أخبرينا ماذا حدث؟

فقالت كلاريسا :مصيبة وقعت هل ستساعدونني؟

فأجاب سير رولاند :بالطبع سنساعدك يا كلاريسا ولكن ماذا حدث أرجوك تكلمي. تكلمي.

– قال جيريمي وهو يضحك:

– إن الذي ينظر إليك ويسمعك يتصور أنك عثرت على قتيل داخل البيت.

– فأجابت كلاريسا:

– للأسف.هذا ما حدث فعلا.عثرت على جثة داخل الغرفة.

– فقال هوجو:كفاك لا هرج؟ أين إذن هذه الجثة؟

– صدقوني أنني لا أمزح فالأمر جد خطير.فالجثة هنا.. خلف المكتب.. فقفز جيريمي فوق المكتب وصاح:

– يا إلهي.. إن هذا صحيح فعلا.

ولحق به سير رولاند وتبعه هوجو وساد صمت على الجميع حتى قال رولاند مستغربا:

– ولكن.. إنها جثة أوليفر كوستيللو.

– فقالت كلاريسا:

– نعم هو.

– وما الذي أتى به إلى هنا؟

– لقد جاء هنا عقب مغادرتكما للمكان لكي يتحدث بخصوص موضوع بيا.

– وما هي علاقته ببيا؟

– جاء من أجل أن يهددنا باستردادها.. على أية حال ليس هذا هو موضوعنا فالوقت قصير وعلينا أن نسرع بالعمل.

– فاقترب منها سير رولاند وهو يقول:

– إننا نريد أن نعرف الحقيقة.. ماذا حدث بعد ذلك؟

– أخبرته في الحال أنه لن يجرؤ على ذلك وطردته ثم عاد مرة أخرى.

– يخيل إلي ذلك.

– ولكن السؤال الآن كيف عاد؟ ومتى؟ ولماذا؟

– لا أعرف..لقد وجدته هكذا في الغرفة.

فانحنى سير رولاند قليلا فوق الجثة وتأملها طويلا دون أن يلمسها ثم قال:

– إنه مات.. ويبدو أن مجهولا ضربه بآلة حادة على رأسه..إنه حادث سخيف سيجلب لنا المتاعب والمضايقات.. والحل هو أن نبلغ الشرطة.

واتجه رولاند ناحية التليفون وأمسك بالسماعة ليطلب الرقم الخاص بالشرطة حتى صاحت كلاريسا:

– كلا.. كلا.

– كيف وهذه أول خطوة كان يجب أن تفعليها يا كلاريسا.. ولكن لا أظن أن أحداً سيلومك على تأخرك في إبلاغ الشرطة..إن الذعر أصابك فتعطلت الذاكرة حين وجدت الجثة.

ونجحت كلاريسا في وضع السماعة وهي تقول:

– كلا.. يا رولاند.. كلا.

– لكن يا ابنتي العزيزة..

– لقد كان في إمكاني إبلاغ الشرطة إذا أنا أردت..إن هذا هو التصرف الطبيعي وقد أمسكت بالسماعة وأدرت الرقم ولكني فكرت واتصلت بكم في النادي.

– إذن ابعدي أنت عن هذا الموضوع واتركيه لنا.

– كيف وأنا في مأزق وأفتقر إلى مساعدتك أنا في حاجة إليك ثم تفحصت الرجال الثلاثة وهي تقول:

– أرجو مساعدتكم يا أصدقائي.

– فقال جيريمي وهو يقف أمام الجثة ليمنع كلاريسا من رؤيتها.

– ماذا تريدنا أن نفعل يا عزيزتي؟

– أريد منكم التخلص من الجثة.

فصاح رولاند:

– إن هذا هراء وجنون.. إننا يا سادة أمام جريمة قتل.

– فقالت كلاريسا:

– إن أهم شيء ألا تظل الجثة في البيت.

فأجاب هوجو يبدو أنك صرت ضحية قراءة الروايات البوليسية إن الجثة ينبغي ألا يلمسها أحد لحين وصول رجال التحقيق الجنائي.

– فقالت كلاريسا ولكنني بالفعل قد قمت بتحريك الجثة

لكي أتحقق من هوية صاحبها ثم بعد ذلك سحبتها من مكانها لكي أخفيها في الفجوة خلف رفوف الكتب، ولكن الواقع أنني لم أستطع القيام بذلك بمفردي ففكرت في الاستعانة بكم وقد توصلت أثناء ذلك إلى فكرة أرجو أن تقبلوها.

فأجاب جيريمي:

– خطة لا تخرج عن لعبة البريدج.

– نعم هو كذلك.. وأظن أن هذا هو الحل الوحيد.

فنظر إليها رولاند متسائلاً وقال:

– كيف ذلك؟

– إنني وضعت أوراق اللعب على المائدة.. وذلك بالطبع يؤكد أننا قطعنا شوطا كبيرا في ممارسة لعبة البريدج.

– أوه إنك مجنونة يا كلاريسا.

– إنني رسمت خطة بدقة بالغة.ينبغي نقل الجثة وسيتولى نقلها شخصان فهي متجمدة وقد اكتشفت ذلك بنفسي.

فقال هوجو وإلى أي مكان سنذهب بها؟

– أجابت: أظن أن المكان المناسب هو غابة «مارسدن» هي لا تبعد عن هنا بأكثر من ميلين فقط.. بعد أن تخرجوا من الباب الرئيسي انحرفوا يسارا واتجهوا إلى الطريق

الجانبي وهو طريق شبه مهجور واتركوا السيارة على حافة الغابة ثم عودوا إلى هنا سيرا على أقدامكم.

فقال جيريمي:إذن تقصدين بذلك أن نلقي بالجثة في الغابة؟

- فأجابت: كلا.. اتركوها في السيارة.. إنها سيارته.. وقد أوقفها بالقرب من الجراج..إنها مهمة يسيرة وغير معقدة.واطمئنوا فلن يشاهدكم أحد حيث أن الظلام في تلك المنطقة دامس.وسنبرهن على أنكم لم تغادروا البيت حيث أننا أعددنا مائدة خاصة لممارسة لعبة البريدج.

فنظر الثلاثة إلى كلاريسا في دهشة وذهول حتى أردفت تقول:

- لقد أعددت لكم لهذه المناسبة ثلاثة قفازات حتى لا يتعرف أحد على بصماتكم وأخرجت في التو ثلاث قفازات.

- فعلق سير رولاند مستغربا.

- أوه إن عبقريتك الإجرامية تثير دهشتي.

- فقال جيريمي:لقد دبرت كل شيء ولم يعد لنا دور.

أما هوجو فقد كان مذهولا يفكر فيما حدث غير مصدق حتى صاح:

- إن هذا سخف وهراء.

- فأجابت كلاريسا:إننا في حاجة لإنجاز الوقت حيث إن

هنري سيحضر في تمام التاسعة بصحبة مستر جونز.

- فعلق رولاند قائلا:مستر جونز من هو مستر جونز؟

فشعرت كلاريسا بالضيق والاشمئزاز.. لاداعي للإستفسار فالأمر خطير لقد ظننت أنكم ستساعدوني على جناح السرعة.

ثم أردفت تقول:هيا يا هوجو.. هيا أسرع لإتمام المهمة.

- فأجاب رولاند :اسمعي يا كلاريسا..إن الأمر جد خطير وليس سهلا أو يسيرا كما تظنين.كيف نلقي جثة في الطريق ثم نظن أن الأمور ستكون على ما يرام.. صدقيني ستتورطين في نهاية الأمر وستكونين موضع اتهام.

فتجاهلت كلاريسا ما سمعته والتفتت إلى جيريمي متوسلة:

- وماذا ترى يا جيريمي؟

- أنا تحت تصرفك..لا يهم جثة أو جثتين إن....

فقاطعه رولاند قائلا:على رسلك يا فتى.. أنا لن أوافق على ذلك وأنت يا كلاريسا عليك أن تتخلي عن هذه المسألة وتتركيها لي.. إننا يجب أن نراعي مركز هنري السياسي وما يتهدده من مخاطر تضر به مستقبلا.

فصاحت كلاريسا:إنني أفعل ذلك حرصا على مستقبل هنري..لقد ذهب منذ قليل لاستقبال شخصية رفيعة

المستوى وسيحضر به إلى هنا بعد قليل. وهذا سر من أسرار الدولة لم يكشف عنه النقاب حتى الآن.

فقال رولاند ساخرا:

– ومن هي هذه الشخصية المرموقة رفيعة المستوى يا كلاريسا أهو مستر جونز؟

– إنه اسم مستعار ولكن لا أستطيع أن ابوح لك بأكثر من هذا.. إنني أقسمت على أن احافظ على سرية ذلك ولم أبُحْ لكم بذلك إلا تبريرا لموقفي الذي وضعه هوجو بالحمق والسخافة ولولا ذلك ما كنت قد أذعت شيئاً من هذا إطلاقا.. وإنني أتساءل لو أننا أبلغنا البوليس فما هو موقف هنري وضيفه إذا جاء إلى هنا والبيت يزدحم برجال الشرطة والنيابة والطب الشرعي والصحافة إن هذا من شأنه أن يهدد بالفعل مستقبل هنري بعد أن ظننت أن حضور هذه الشخصية إلى بيتنا هو تدعيم لمركز هنري السياسي.

– فقال سير رولاند وهو ينظر إليها في ضيق:

– لاشك أن روايتك عن مستر جونز صحيحة وصادقة.

– يا إلهي أكنت تكذبني يا سير رولاند؟

– أنا آسف يا كلاريسا.. فالمشكلة شديدة التعقيد.

– إذن علينا أن نسرع في نقل الجثة من هنا.

– فسألها جيريمي:

– وماذا عن سيارته؟

– قلت لكم إنه تركها بجوار الجراج.

– وأين الخدم؟

– انصرفوا جميعا.

– فقال جيريمي وهو يرتدي قفازا:

– حسنا.. اتفقنا.. هل انقل الجثة إلى السيارة أم أحضر السيارة إلى هنا.

فقال رولاند في حزم:جيريمي تريث قليلا. إننا في حاجة للتفكير في مغبة هذا الأمر.. ولا داعي للتهور والتعجل.

فصرخت كلاريسا:لكن يجب أن نتحرك بأقصى سرعة.

– فقال رولاند:أنا غير متأكد أن خطتك هذه جيدة.. ماذا سيحدث لو أرجأنا الأمر للغد. يمكننا أن ننقل الجثة إلى غرفة أخرى ولا أظن أن هذا سيعرضنا للمساءلة فلدينا الأعذار والمبررات لهذا التصرف.

– فقالت كلاريسا وهي تقترب من رولاند:

– أليس لافتا للانتباه أن تكون أنت الشخص الوحيد الذي يحتاج إلى محاضرة لإقناعه..إن جيريمي كما سمعت رهن إشارتي وهوجو ينتظر رأيك فماذا أنت فاعل؟

وساد الصمت لحظات ثم التفتت إلى جيريمي وهوجو قائلة:

- بمكنكما الانتقال إلى قاعة المكتبة فأنا أريد أن أتحدث قليلا مع رولاند بمفردنا وجلس رولاند على أحد المقاعد بينما اقترب منه هوجو هامسا في أذنه:

- توخى الحذر يا رولاند لا تدعها تخدعك وترتكب حماقة تدمرنا جميعا.

- قال جيريمي وهو في طريقه إلى قاعة المكتبة:

- أتمنى لك النجاح يا كلاريسا.

وانصرف الرجلان وأغلقت كلاريسا الباب خلفهما ثم أقبلت على رولاند تقول:الآن فقط يمكننا أن نتناقش في هدوء.

فأسرع رولاند يقول:كلاريسا يا عزيزتي أنا أحبك وسأحبك دوما ولكن موقفي في هذه المشكلة هو (لا)

فقالت كلاريسا في حدة:إن جثة أوليفر يجب أن ننقلها من هنا إلى الغابة وسوف أقول لرجال الشرطة إنه جاءنا في التوقيت الذي أتانا فيه بالفعل وانصرف أمام مسز بيك وإنه لقى حتفه في الطريق وسوف تشهد بذلك مسز بيك التي صحبته حتى الحديقة ولن يتصور أحد أنه عاد مرة أخرى إلى هنا أما إذا ظلت الجثة هنا فسوف نعاني جميعا

من ملاحقة رجال الشرطة وأنا متأكدة أن بيا ستنهار أمام رجال الشرطة ولن تقاوم إلحاح المحققين.

فقال رولاند مذهولا:

- بيا؟

- نعم ستنهار وستعترف.

وصاح سير رولاند يقول.. بيا؟ يا إلهي...!!!

إنها شعرت بالذعر حين جاء هنا يطلب منها مصاحبته إلى ولدتها وانتابتها نوبة الهستريا ولم تصدق أنني سأحميها منهما وحين عاد مرة أخرى أصابها الهلع حتى ضربته على رأسه بعصى غليظة دون أن تقصد قتله وقد أكدت لي ذلك.

- عصا ومن أين جاءت بهذه العصا؟

- توجد مجموعة من العصي في تجويف الجدار الخلفي لرفوف المكتبة.

- وأين بيا الآن؟

- إنها في غرفة نومها أعطيتها قرصاً منوماً لتهدئتها ولن تستيقظ قبل الصباح وسوف أبعث بها إلى أمي غدا في لندن للإقامة معها.

فنهض سير رولاند واقفا وقد قطع الغرفة كعادته ذهابا وإيابا وهو يقول:

- أوه.. لقد انتصرت يا كلاريسا.. إن هذه الفتاة لا ينبغي أبدا أن تقف أمام المحققين.. إنك على حق.. هيا استدعي هوجو وجيريمي.

واتجه رولاند إلى الباب المؤدي إلى الحديقة بينما انطلقت كلاريسا إلى باب قاعة المكتبة ونادت:

- هوجو.. جيريمي.. هيا.. هلم إلى هنا.

وأسرع هوجو يقول:

- إن خادمك يهمل إغلاق النوافذ جيدا يا كلاريسا فإن نافذة قاعة المكتبة مفتوحة فأغلقتها.

ونظر هوجو إلى رولاند يسأله:

- هيه.. ماذا حدث؟

- فأجاب رولاند في اقتضاب:

- لقد غيرت موقفي.

فصاح جيريمي يقول لكلاريسا:

- برافو يا عزيزتي.

- فقال رولاند:

- الوقت ضيق.. يجب أن نعمل بسرعة أين القفازات؟

ومد يده وتناول قفازا وكما هو متوقع تبعه هوجو.

واقترب سير رولاند من رفوف المكتبة وقال:

- كيف يتم فتح هذا المكان؟

- فقال جيريمي: هكذا يا سير.. إن بيا هي التي أرشدتني إلى هذه الطريقة.

★ ★ ★

وتحركت الرفوف وكشفت عن التجويف المؤدي بباب المكتبة ودخل سير رولاند في هذا التجويف وراح يفحصه بعناية فائقة.. حتى أن جيريمي علق ضاحكا:

- هذه العصا كفيلة بإزهاق روح أي إنسان.

- فقال رولاند: خذ هذه العصا يا هوجو.. وألقى بها في فرن المطبخ.. وأنت يا جيريمي فعليك أن تساعدني في نقل الجثة إلى السيارة.

وانكب رولاند وتبعه جيريمي فوق الجثة.. وأثناء ذلك دق جرس الباب فنهض رولاند وجيريمي وصاح رولاند في فزع:

- ما هذا؟

- فقالت كلاريسا في دهشة من أمرها:

- ما هذا؟ من القادم في تلك الساعة إن موعد هنري مع ضيفه مستر جونز لم يحن بعد فمن يا ترى؟ هل هو السير جون؟

فصاح رولاند:

- السير جون؟ وزير الخارجية.

- نعم.

- أوه.. يجب أن نتصرف بأقصى سرعة.

وعاد جرس الباب يرن فقال رولاند:

- افتحي الباب يا كلاريسا.. وحاولي احتجازه في البهو أطول فترة ممكنة حتى نتصرف في الجثة.

فخرجت كلاريسا نحو الباب وأردف سير رولاند يقول لهوجو وجيريمي:

- هيا بنا نضع الجثة في الفجوة.. ثم ننقلها بعد ذلك إلى قاعة المكتبة.

- فقال جيريمي:

- إنها فكرة رائعة.

وحمل رولاند وجيريمي الجثة إلى الفجوة ولحق بهما هوجو.. فوضع العصا والمصباح الكهربائي فوق الجثة وخرجوا من الفجوة وضغط جيريمي زرا في الجدار فعادت رفوف المكتب إلى مكانها ونظر سير رولاند في ملابسه حتى اطمئن أنها لم تلطخ بالدماء ثم دار ببصره في أنحاء القاعة وهو يقول:

- القفازات.

وخلع قفازه وألقى به تحت وسادة من الأريكة في جانبها الأيسر وتبعه جيريمي وهوجو.

وقال رولاند: البريدج.

وأسرعوا جميعا إلى طاولة البريدج وتناولوا أوراق اللعب.

* * *

بعد دقائق قليلة دخلت كلاريسا ومن خلفها رجلان يرتدي أحدهما ثياب الشرطة برتبة رقيب.

وقالت في دهشة:الشرطة أيها العم رولاند.. المفتش رولاند.. والرقيب جونز

ووقفت خلف مقعد سير رولاند.. بينما وقف رقيب الشرطة بباب الغرفة وهنا قال المفتش:يؤسفني إزعاجكم.ولكننا تلقينا نبأ بأن جريمة قتل ارتكبت هنا.

فصاح الجميع معا:جريمة قتل؟

فقال المفتش:إننا استقبلنا مكالمة تليفونية تفيد بهذا.

ثم استدار ناحية هوجو قائلا: أهلا بك يا مستر بيرش.

فرد هوجو: أهلا بك أيها المفتش.

- فقال سير رولاند:يبدو أنه بلاغ كاذب أو لعلها دعابة سخيفة.

- فقالت كلاريسا: إننا نلعب البريدج طوال الليل.. ولكن ماذا عن شخصية القتيل؟

- فأجاب المفتش:إن المتحدث لم يذكر أسماء.. قال فقط

إن رجلا قتل في قصر «كوبلستون» واستغاث بنا ثم وضع السماعة.

- فقالت كلاريسا: إنها دعابة.. لاشك في ذلك.

- فقال المفتش: إننا نتلقى بلاغات مثيرة للعجب.. والآن يا سادة أنتم تؤكدون لي أنه لم يقع هنا أي حادث فهلا قابلت مستر براون.

- فقالت كلاريسا: إنه غير موجود.. ولن يحضر قبل منتصف الليل.

- هل يوجد في البيت أحد غيركم؟

- فأجابت كلاريسا:كلا.. لا يوجد سوى هؤلاء.. سير رولاند، ومستر جيريمي ومستر هوجو الذي تعرفه أنت.. كما توجد هنا أيضا ابنة زوجي، وهي الآن نائمة في فراشها.

- والخدم؟

- أنهما في إجازة أقصد مستر إيلجن وزوجته وربما هما الآن في السينما في «هيدستون» ولكن قبل أن تستكمل عبارتها دخل مستر إيلجن قادما من البهو وقال محدثا كلاريسا وعيناه تتجهان ناحية المفتش:

- هل أنت في حاجة إلى أي شيء يا سيدتي؟

فاستغربت كلاريسا وقالت:

- كيف؟ كنت أتوقع وجودك في السينما مع زوجتك يا

إيجن.

وهنا شعر المفتش بقلق كلاريسا وارتباكها وقال إيلجن:

- إننا لم نقض بها وقتا طويلا فقد شعرت زوجتي ببعض الآلام المعوية ونظر إلى رجال الشرطة قائلا:

- هل حدث شيء هنا يا سيدتي؟

- فسأله المفتش:ما هو اسمك؟

- إيلجن.. أرجو ألا يكون قد حدث شيء.

- فقال المفتش:لقد اتصل بنا أحد الناس وأخبرنا عن جريمة قتل هنا.

- جريمة قتل؟

- نعم.. ماذا تعرف عن هذه الجريمة؟

- لا شيء.. أنا لا أعرف اي شيء عنها.

- فقال المفتش في حدة:

- ألست أنت الذي اتصلت بنا هاتفيا؟

- كلا يا سيدي..

فسكت المفتش لحظة ثم عاد يقول:

- أظنك دخلت من الباب الخلفي.

- نعم حدث هذا.

- هل لاحظت شيئا غريبا؟

فكر إيلجن قليلا ثم صاح يقول:

- آه تذكرت.. لاحظت سيارة غريبة قريبة من الجراج.

- سيارة غريبة؟

- نعم.. وتساءلت في نفسي من يكون صاحب هذه السيارة الغريبة؟

- هل كان بداخلها شخص ما؟

- كلا.. كانت تخلو من الأشخاص.

- فاستدار المفتش ناحية رقيب الشرطة قائلا:

- ألقي نظرة سريعة على هذه السيارة يا جونز.

ثم أمر إيلجن بالإنصراف.

ونهض جيريمي من مكانه واتجه إلى المائدة وتناول قطعة من شطائر اللحم البارد التي أعدتها كلاريسا لزوجها وضيفه ووضع المفتش قبعته على أحد المقاعد ونظر إلى مائدة البريدج وهو يقول:

- هل كنتم في انتظار أحد الأشخاص؟

- فقالت كلاريسا:

- كلا.. لم نكن في انتظار أحد..إننا نلعب البريدج معا.

- هل تعيشين هنا منذ وقت طويل يا مسز براون.

- كلا.. أظن منذ شهر ونصف فقط.

- هل وقعت أحداث غريبة هنا في هذا البيت منذ

مجيئك؟

- ماذا تقصد يا سيدي؟

- إن لهذا قصة عجيبة فقد كان صاحب هذا البيت تاجر تحف وتوفي منذ ستة شهور.

- يقال إنه مات نتيجة حادث فهل هذا صحيح؟

- نعم سقط من فوق السلم وتهشمت رأسه وسجلنا الحادث قضاء وقدرا وربما لا يكون هذا صحيحا.

- تقصد أن أحدهم قذف به من أعلى السلم؟

- ممكن ربما يكون قد تعرض لضربة عصا على رأسه فظهر الحادث كأنه سقوط من أعلى السلم.

- تقصد سلم هذا البيت؟

- كلا.. سلم الحانوت.. والواقع أن الرجل كانت تحيط به الشبهات.

- فقال سير رولاند :كيف؟

- كان محل اشتباه لدى رجال مكافحة المخدرات.

- تعني إذن أن هذه وجهة نظر الشرطة.

- نعم هذه وجهة نظر مكافحة المخدرات.

- وماذا عن وجهة النظر غير الرسمية؟

- ذلك شيء لا أستطيع أن أبوح به ولكن الظاهرة

العجيبة أننا عثرنا على خطاب لم يستكمله أشار فيه إلى عثوره على شيء خطير ونادر وجوده غير مزور ويطلب نحو أربعة عشر ألفا من الجنيهات ثمنا له.

فصاح سير رولاند:

- أوه.. أربعة عشر ألفا من الجنيهات.. هذا مبلغ ضخم.. ما هو هذا الشيء؟

جوهرة ثمينة مثلا؟ ولكن كلمة «مزور» لا تستخدم في المجوهرات إنها كلمة «مغشوشة مثلا» وربما يقصد لوحة فنية.

- ربما.. ولكن شركة التأمين أثبتت بعد الجرد أنها لم تعثر على شيء يستحق هذا المبلغ الخيالي.. وكان مستر سيلون يملك متجرا للتحف في العاصمة لندن بمشاركة إحدى السيدات وكتبت لنا السيدة تقول في خطاب بعثت به إلينا تخبرنا أنها لا تستطيع معاونتنا في كشف النقاب عن مصرع شريكها.

فقال سير رولاند:

- إذن فإن مستر سيلون قد تعرض للقتل بالفعل وسرق الجاني هذا الشيء الثمين.

- هذا محتمل.. لكن القاتل كما أعتقد لم ينجح في العثور على هذا الشيء.

- لماذا؟

- لأن بعضهم تسلل إلى متجر الرجل بعد وفاته للبحث عن هذا الشيء دون جدوى.

- فقالت كلاريسا :ولكن ما علاقتنا بهذا كله يا سيدي المفتش؟

- لأنني أظن أن سيلون قد أخفى هذا الشيء الثمين هنا لذلك سألتك هل حدثت هنا أشياء غريبة؟

- فقالت كلاريسا :كل ما في الأمر أن شخصا ما اتصل بي هاتفيا وعندما تناولت السماعة أغلق الخط بينما كان قد تحدث مع مسز بيك وسألها عن:

إن هذا التصرف أثار حفيظتي.. ومنذ بضعة أيام جاء رجل وطلب مني شراء هذا المكتب.

- فاقترب المفتش ناحية المكتب وسأل:

- هذا المكتب؟

- نعم.. وأخبرته أنه ملك لصاحب البيت ونحن نستأجر البيت فقط ولا نملكه وبالتالي فلا يجوز لنا بيعه ويبدو أنه شعر بأنني أكذب حتى رفع سعره إلى رقم خيالي.

- فقال المفتش وهو يفحص المكتب:

- إن هذه المكاتب غالبا ما تحتوي على أدراج سرية.

- فقالت كلاريسا :

- نعم هذا المكتب به درج سري.. ولكننا لم نعثر بداخله على شيء هام.

- في تلك الأثناء أقبل الرقيب جونز حاملا رخصة سيارة وقفاز واتجه نحو المفتش قائلا:

لم أعثر سوى على هذه الرخصة وهذا القفاز.

فتناول المفتش الرخصة وقرأ بياناتها:

«أوليفر كوستيللو . ٢٧ سنة . العنوان شارع مورجان»

ثم صاح في حدة:

- هل حضر إلى هذا البيت رجل بهذه البيانات؟

- فأجابت كلاريسا نعم.. إنه جاء حوالي الساعة السادسة والنصف.

- هل تعرفينه؟

- كلا.. فهو ليس صديقاً.. قابلته مرة أو مرتين.. والحقيقة إن الأمر يتعلق بزوجي مستر هنري براون فقد انفصل عن زوجته ميراندا فتزوجت من أوليفر منذ عدة أسابيع.. والحقيقة أن ميراندا حين غادرت هذا البيت أخذت معها أشياء بدون وجه حق وجاء أوليفر لإعادتها مرة أخرى.

- وما هي هذه الأشياء التي أعادها إليكما؟

- فأجابت وهي مرتبكة:

- هي أشياء لا قيمة لها.

وأشارت إلى صندوق السجاير وقالت مثل هذا مثلا.

إن زوجي يرغب في اقتناء هذا الصندوق لأسباب عاطفية حيث إنه أول هدية قدمتها له والدته.

- هل قضى مستر أوليفر هنا وقتا طويلا؟

- كلا لم يقض هنا أكثر من عشر دقائق فقط وتعلل بأنه مشغول لذلك اعتزم على الانصراف مبكرا.

- هل دب شجار بينكما؟

- كلا.. فقد كان لطيفا ومهذبا معنا.

- هل أخبرك أين سيذهب؟

- كلا إنه خرج من باب الحديقة بصحبة مسز بيك المسئولة عن رعاية الحديقة.

- أين هي مسز بيك؟

- هي تقيم في غرفتها الملحقة بالحديقة.

فأمر المفتش أن يتوجه الرقيب إلى غرفتها لإحضارها.

فقالت كلاريسا: يوجد خط تليفوني في غرفتها ويمكن أن أستدعيها.

- ليتك فعلت ذلك يا مسز براون.

واتجهت مسز براون نحو قرص الهاتف وضغطت على

أحد أزراره وهي تقول أتمنى ألا تكون قد أوت إلى فراشها:

- ألو.. مسز بيك؟ أنا مسز براون.. هلا حضرتي الآن لأمر ضروري.

- نعم.. سأحضر فورا.

- شكرا.

ووضعت السماعة وقالت إنها سترتدي ملابسها وتأتي فوراً.

- أشكرك.. أتمنى أن يكون قد أخبرها عن وجهته.

- أتمنى ذلك أيضا.

- القضية الخطيرة الآن.. أين ذهب ولماذا ترك سيارته هنا؟

تحركت ملاريسا عدة خطوات نحو باب الحديقة وأردف المفتش يقول:

- من المؤكد أن مسز بيك هي آخر من رأت أوليفر.

- هل تسمحين لي بتفتيش المنزل يا مسز براون؟

- فأجابت في ارتباك وهي تبتسم:

- طبعا.. طبعا.. أنت فتشت في هذه الغرفة وبالطبع لا يوجد أحد بداخلها ثم قالت وهي تتجه لفتح الباب المؤدي إلى المكتبة:

- هذه غرفة المكتبة.. هل ترغب في تفتيشها؟

- أشكرك.. تعالى يا جونز.

واتجه الرجلان ناحية غرفة المكتبة.. وتحدث سير رولاند مع كلاريسا قائلا:

ماذا يوجد في الناحية الأخرى خلف رفوف المكتبة؟

- توجد رفوف كتب أيضا.

وعاد رجلا البوليس وقال المفتش:

- حسنا.. الآن سنقوم بتفتيش باقي غرف القصر.

- فقالت كلاريسا :هل توافق على وجودي معكما.. فأنا أخشى أن تستيقظ ابنة زوجي فتصاب بالهلع والفزع إذا شاهدتكما.

وخرج الثلاثة وتنفس رولاند الصعداء وتنهد هوجو وجفف جيريمي عرقه وهو يتناول شطيرة أخرى.

- يا إلهي.. ماذا سيحدث الآن؟

- فعلق رولاند :أننا في ورطة تزداد تعقيداً لحظة بعد أخرى.

- فقال هوجو وهو ينهض واقفا:

- أرى من واجبنا أن نصارح المفتش بالحقيقة قبل فوات الوقت.

- فقال جيريمي:لا نستطيع أن نفعل ذلك الآن وإلا تورطت كلاريسا في الحادث.

- فقال هوجو:بل إن موقفنا سيكون أخطر إذا ظللنا في هذه المهزلة وإلا فأخبرني كيف ستتمكن من نقل الجثة إلى الغابة؟ ما من شك أن البوليس سيقتفي أثر أوليفر وسيحتفظ بسيارته.

- فقال جيريمي:يمكنك استخدام سيارتي.

فقال هوجو: إنني أشعر بخيبة الأمل.. فلست راضيا عن سلوكنا.

- فأجاب رولاند:أنا في الواقع متمسك بخطة كلاريسا.

- فقال هوجو:أنا لم أعد أفهم ماذا تريد؟

- أسمعني يا هوجو:إننا جميعا في ورطة خطيرة.. ولكن قد ننجح إذا حالفنا الحظ فإن رجال البوليس سيغادرون البيت فورا أما بخصوص سيارته فهناك مبررات عديدة لعرضها.. والثابت أن البوليس لن يشتبه في أحد منا فنحن قوم معروف عنا الوجاهة الإجتماعية فأنت يا هوجو عضو في مجلس النواب وهنري من علية القوم ومن كبار موظفي وزارة الخارجية.

- فقال هوجو: بل أنت أيضا أحد المشاهير الكبار.. فلنتشجع إذن ونستمر في مخططنا للنهاية.

- فقال جيريمي:إذا هل يمكننا نقل الجثة؟

- فقال رولاند:لا يجب أن نفعل ذلك الآن.. فقد يعودون في أي وقت هنا الغريب أن كلاريسا استطاعت أن تخدع المفتش وتوهمه بالبراءة والطيبة ودق جرس الباب الخارجي فخرج جيريمي يفتح الباب.

وهنا مال هوجو على أذن رولاند يسأله.. ما الموضوع يا سير وماذا أخبرتك كلاريسا حين انفردت بك منذ قليل؟

وما أن هم رولاند بالكلام حتى حضرت مسز بيك وهي ترفع يدها بالتحية حتى لاذ رولاند بالصمت التام.

ودخلت مسز بيك وهي تستكمل ارتداء ملابسها بدون اكتراث للحاضرين ثم قالت:

- ماذا حدث؟

- فقال رولاند: أبداً لا تنزعجي.. اجلسي هنا.. الحقيقة أن رجال البوليس هنا.

ولم يستكمل عبارته حيث دخلت كلاريسا وخلفها المفتش والرقيب معا فقالت كلاريسا:

- هذه مسز بيك يا سيدي المفتش.

فنظر إليها المفتش نظرة فاحصة وهو يقول:

- مساء سعيد يا مسز بيك.

- مساء سعيد يا سيدي المفتش.. كنت أسأل السير

رولاند عما حدث هل هي جريمة قتل أم سرقة؟

- فقال المفتش:لقد تلقينا بلاغا منذ قليل لعلك تساعدينا على كشف النقاب عما حدث.

- فضحكت قائلة:كيف لي أن أساعدك؟

- فقال المفتش:إن الأمر يتعلق بمستر أوليفر كوستيللو المقيم بشارع مورجان.

- للأسف لم أسمع عنه إطلاقا.

- سمعت أنك رافقتيه حتى الحديقة حين كان هنا هذا اليوم في زيارة لمسز براون.

- أوه.. نعم تذكرته ماذا تريد أن تعرف عنه؟

- أريد أن تذكري لي ماذا حدث حين رافقتيه إلى الحديقة وهل ذكر لك شيئا؟

- دعني أتذكر.. نحن بالفعل خرجنا من هذا الباب المؤدي للحديقة وقد قلت له إن هناك طريقاً مختصراً إذا كان يرغب في ركوب أتوبيس للعودة إلا أنه أجاب على الفور أن معه سيارته وضعها أمام جراج القصر.

- والغريب أنه ترك السيارة فعلا بجوار الجراج بدلا من أن يتركها كما هو مفروض أمام باب البيت.

- لقد فكرت في هذا التصرف أيضا.

- وماذا حدث بعد هذا؟

- ذهب إلى سيارته.. وأظن أنه ركبها وانطلق بها.

- هل شاهدتيه يقودها؟

- كلا.. كنت مشغولة بعملي في الحديقة.

- أهذه هي المرة الأخيرة التي رأتيه فيها؟

- هذا صحيح يا سيدي.. ولكن لماذا هذا السؤال؟

- أبداً.. إن سيارته لاتزال في نفس المكان وقد اتصل شخص ما بمقر الشرطة في الساعة السابعة والدقيقة ٤٩ وأخبرنا أن رجلا قتل هنا في هذا البيت.

- أوه قتل؟ هنا؟ هذا هراء.

- هذا ما يظنه الكل هنا.

- لقد قرأت العديد عن السفاحين الذين يتسللون في ظلام الليل لقتل النساء أما الآن فأنت تقول إن القتيل رجل.

- هل وصلك صوت محرك سيارة يقف أمام الباب؟

- نعم سمعت صوت محرك سيارة مستر هنري براون.

- مستر براون؟ كنت أعتقد أنه لن يعود إلى هنا إلا في ساعة متأخرة. فنظر معاتبا إلى كلاريسا التي نهضت تقول:

- صحيح إن زوجي كان هنا ومكث دقائق ثم غادر مسرعا لعمله.

- مسز كلاريسا.. أرجوك تذكري متى كان هذا بالضبط؟

- أنا في حاجة لكي أتذكر.. إنه جاء في حوالي.. الساعة..

فقاطعتها مسز بيك قائلة:

- إنه جاء قبل حوالي ربع ساعة من موعد انتهاء عملي أي في تمام الساعة السابعة إلا الربع.

- فقال مفتش الشرطة:إذن بعد دقائق من مغادرة مستر كوستيللو وربما تقابلا معا في الطريق.

- فقالت مسز بيك:هل تقصد أن أوليفر عاد لمقابلة مستر هنري براون.

- أجابت كلاريسا:أنا متأكدة أن أوليفر لم يأت إلى هنا مرة أخرى.

- فقالت مسز بيك:ولماذا أنت واثقة هكذا؟ ألا يمكن أن يدخل من هذا الباب دون أن تشعري؟ أوه.. رباه.. هل يمكن أن يكون قد قتل مستر هنري براون.

- كلا.. إنه لم يقتل هنري.

- فقال المفتش: هل لديك معرفة عن المكان الذي ذهب إليه زوجك بعد مغادرته؟

- أنا لا أسأله عن جهة خروجه إطلاقا.. إن الرجل

يمقت الزوجة التي تطارد زوجها بالأسئلة.

- وفجاة صاحت مسز بيك تقول:

- يا إلهي.. إنني غبية.. إذا كانت سيارة أوليفر هي التي هنا، إذن فهو الذي قتل فعلا.

وضحكت بصوت عالٍ هز أركان الغرفة.

فنهض سير رولاند من مقعده وقال في حسم:

- ما هذا الهراء يا مسز بيك.. إن المفتش نفسه صارت لديه قناعة أن المكالمة الهاتفية كانت من قبيل الدعابة الحمقاء.

- فقالت مسز بيك:

- وماذا عن سيارة أوليفر؟ إن وجودها حتى الآن مثار للشك ثم نهضت وتقدمت من المفتش وأردفت تقول:

- هل بحثت عن الجثة يا سيدي المفتش؟

- فقال سير رولاند:

- إنه قام بتفتيش البيت كله.

- أنا متأكدة أن إيلجن وزوجته وراء هذه الجريمة.. إنني أتشكك في أمرهما لقد رأيت نورا صادرا من نافذتهما وأنا في طريقي إلى هنا.. وهذا من شأنه أن يثير الشكوك خاصة أنهما في إجازة ليلية وإنهما في الغالب يعودان بعد منتصف الليل، سيدي هل فتشت غرفتهما وأردفت تقول:

- اسمعني جيدا.. لنفرض أن مستر أوليفر رأى إيلجن وقد تذكر أنه مجرم سابق وعاد مرة أخرى ليحذر مستر هنري فأدرك إيلجن هذا وقتله أليس من الوارد أن يسرع إيلجن إلى إخفاء الجثة في أسرع وقت فإذا تأكدنا من ذلك فالسؤال المطروح الآن.. أين إذن أخفاها؟ ربما خلف الستار... أو الـ... فصرخت كلاريسا:

- اوه على رسلك يا مسز بيك إن كلامك يبعث على الدهشة والضحك. ثم كيف تزعمين أن إيلجن قاتل ومجرم خطير.

- فقالت مسز بيك: أنت طيبة ولطيفة يا سيدتي..عندما تكتسبين خبرتي ستعرفين كيف تحكمين على الناس بعيدا عن مظاهرهم الخادعة، وأردفت تقول موجهة حديثها للمفتش:

- والآن.. أين يمكن لرجل مثل إيلجن إخفاء الجثة؟ هناك تجويف في هذا الجدار بين رفوف الكتب وغرفة المكتبة ليتك فتشت فيها.

- فقال سير رولاند:

- إن المفتش بحث في كل مكان.

وصاح المفتش قائلا :أين هذا التجويف يا مسز بيك؟

وخيم الصمت لحظة.. خارت فيه أعصاب الجميع.. كان

واضحا أن الكل يتظاهر بالتماسك على عكس ما بداخله من انهيار واضطراب.

وتقدمت مسز بيك وهي تضحك هذا مكان مناسب لإخفاء الجثث.. لا يخطر على بال أحد إطلاقا.

وأسرعت إلى رفوف الكتب.. ومن خلفها المفتش وصاحت كلاريسا:

- كلا.. كلا.

- لا يوجد شيء في تلك الفجوة.. لقد مررنا عليها ونحن في طريقنا لقاعة المكتبة منذ قليل.

- فقالت مسز بيك في أسى:

- مادام الأمر هكذا فلاداعي أن...

- فقاطعها المفتش قائلا:لا.. لامانع من أن أراها على أي حال.

- وقالت مسز بيك وهي على مقربة من رفوف المكتب:

- كان يوجد هنا باب يشبه باب آخر في الجانب الآخر.. ثم وضعوا هذه الرفوف لإخفائه والمفروض أن تضغط على هذا الزر حتى يتحرك ويكشف التجويف الموجود في هذا الجدار.

انظر سيدي المفتش.

قالت ذلك وسرعان ما ظهرت الجثة وسقطت بجوار

المكتب.. وانفجرت مسز بيك تصرخ بأعلى صوتها.

ونظر المفتش إلى كلاريسا وهو يقول في هدوء:

- إذن فإن جريمة قتل ارتكبها شخص هنا هذا المساء!!

* * *



الفصل السابع

على الرغم من شجاعة كلاريسا وأعصابها الفولاذية إلا أنها خارت وضعفت في ثوان فانهارت أمام المفتش كجبل جليد سطعت عليه شمس حارقة وسقطت على الأرض مغشيا عليها وحملها رولاند الذي وقف مذهولا مما يحدث أمامه وبعد ثوانٍ فتحت كلاريسا عينيها فوجدت نفسها بين ذراعي رولاند وفي يده شراب ناولها قدحا منه.. وانتبهت واستوعبت ما يدور حولها وأرهفت السمع حتى ترامى إليها صوت المفتش الذي يتحدث في تليفون المنزل قائلا:

- نعم.. نعم.. كيف؟ كلا.. كلا؟ رجل صدمته سيارة؟ أوه.. حسنا أين؟ أرجوك أنا في انتظارهم.. نعم.. الطبيب الشرعي والمصور الخاص بالشرطة .. اسمع إنني أريد فريق العمل بأكمله.

ووضع السماعة والتفت ناحية الرقيب وقال وقد اكتسى وجهه الغضب.

- المصائب تأتي جماعات.. مرة واحدة.. لقد مرت علينا أسابيع كثيرة لم نتلقَ فيها بلاغا واحدا.. والآن تلقى الطبيب الشرعي إشارة عاجلة لمعاينة جثة رجل صدمته سيارة وهو في طريقه إلى العاصمة لندن.. وبالتأكيد سنضطر إلى انتظاره بعض الوقت ريثما يعود.. والمطلوب

الآن أن نبذل أقصى ما في وسعنا لإنهاء بعض الإجراءات المتعلقة بالحادث قبل قدومه توفيرا للوقت.. فإنني أعرف أنه قتل في مكان آخر وتم نقل جثته إلى هذا المخبأ السري.

وجثا المفتش على ركبتيه وتبعه مساعده الرقيب وتبادل سير رولاند النظرات الزائغة مع كلاريسا وراح يقول لها في انزعاج:

- هل أنت بخير؟

- فأجابت: نعم أنا في صحة جيدة الآن.

ونهض المفتش من أمام الجثة قائلا:

- أرى من الأفضل غلق هذا المخبأ لحين معاينته فلسنا في مزيد من الحاجة لنوبات هستريا وصراخ وبكاء فالموقف يستدعي الحكمة والعقلانية.

- فأجاب الرقيب:لك ما تريد يا سيدي المفتش.

وضغط الرقيب على الزر فتحركت رفوف الكتب واختفت الجثة عن الأنظار وتقدم سير رولاند من المفتش وهو يقول:

- هل تسمح لمسز براون بالصعود إلى فراشها أملا في استعادة عافيتها؟

- فأجاب المفتش:لا مانع.. وإن كنت أرغب في بقائها

عدة دقائق.

فأنا في حاجة للاستفسار منها عما حدث لها.

- لكنها لا تستطيع الإجابة الآن من أثر الصدمة.

- فقالت كلاريسا بصوت ضعيف:

- أنا بخير لا داعي للقلق.

- فقال سير رولاند:أنت شجاعة يا كلاريسا.. ولكنك في حاجة للراحة.

- أشكرك يا سير رولاند.

ثم استدارت ناحية المفتش قائلة:

- إنه يعاملني كابنته دائما.

- فقال المفتش:نعم.. نعم لاحظت ذلك وسرني صنعه.

- والآن أيها المفتش لك أن تسأل ما تريد فأنا على أتم الاستعداد رغم انني لا أملك معلومات مفيدة لك في مهمتك.

فقال المفتش:

- لن ألقي عليك أسئلة عديدة كما تظنين.

ثم أمر في أدب سير رولاند بضرورة اللحاق بزملائه في الغرفة المجاورة إلا أن سير رولاند رفض متعللا بوجوده

بجوار كلاريسا غير أن المفتش أجابه في حزم وحسم شديدين قائلا:

- عفوا يا سيدي.. لسنا في حاجة لوجودك الآن.

وشعر سير رولاند بالحرج من أسلوب المفتش الصارم وانسحب خجلا واتجه ناحية قاعة المكتبة.. وأغلق المفتش الباب وأشار على مساعده بالجلوس لكتابة محضر اللقاء.

وجلست كلاريسا معتدلة على المقعد تتأهب للتحقيق المرتقب وبدأ المفتش قوله:

- هل أنت بخير يا مسز براون؟

واقترب من صندوق السجاير وأخرج منه سيجارة فاستغربت كلاريسا ما فعله وهي تقول سمعت أن المحققين في أمريكا يشعلون لفافات السجائر لإحراق جسد المتهمين ليرغموهم على الاعترافات فهل أنت ستفعل مثلهم؟

- كلا.. كلا نحن في بريطانيا كما تعلمين لا نتبع هذا الأسلوب الأمريكي البربري.

- أشكرك يا سيدي.

واستوى المفتش على مقعد مواجه لها وأردف يقول:

- والآن حدثيني بصراحة ما هي معلوماتك عن هذه الجثة؟

- لا توجد لدي أية معلومات عنها.

- إذن لماذا لم تخبرينا عن هذا المخبأ حين بدأنا في تفتيش هذه الغرفة.

- لأننا لم نكن أتصور ذلك.. ثم إننا لا نستخدمه إطلاقا.. فضلا عن جهلي الشديد بكل المخابئ الموجودة داخل هذا المنزل الذي استأجرناه مؤخراً.

- لا تنسى أنك قلت لي منذ قليل عن مرورك منه لقاعة المكتبة.

- كلا.. كنت أعني هذا الباب (وأشارت إلى باب المكتبة)

- حسنا.. هل لديك فكرة لماذا عاد كوستيللو مرة أخرى ومتى عاد؟

- كلا.. لا أدري كيف ومتى ولماذا عاد مرة أخرى؟

- والحقيقة أنه عاد أليس كذلك؟

- نعم هذا صحيح.

- إذن فقد عاد لغرض ما.

- ربما.

- هل أراد مقابلة زوجك هنري؟

- كلا.. كلاهما لا يحب الآخر.

- هل دبت بينهما مشاجرة عنيفة ذات مرة؟

- كلا.. لم يحدث أن تشاجرا معا.. ولكن هناك كراهية بينهما بسبب زواج أوليفر من مطلقة هنري.

- إذن ربما يكون قد جاء من أجل مقابلتك؟

- ولماذا؟ كلا ليس هذا واردا بالمرة.

- هل يوجد أحد في المنزل كان كوستيللو يرغب في مقابلته؟

- كلا.. لا يوجد أحد بالفعل.

فنهض المفتش واقفا ثم جاب الغرفة ذهابا وإيابا ويده اليمنى في جيبه وهو يقول: الأمر المؤكد أن كوستيللو جاء لإعادة الأشياء المتعلقة بزوجك ثم غادر البيت من الحديقة وربما قتله أحدهم في الحديقة ثم نقل جثته إلى هذا المخبأ السري حدث ذلك في غضون عشر دقائق أو عشرين دقيقة دون أن تلاحظي ذلك.. أهذا معقول؟

- هذا يبدو غريبا بالفعل.. وأنا أعرف ذلك.

- هل ترامى إلى مسامعك شيء ما؟

- اليس هذا عجيباً حقا؟

- إذن لا حاجة لي في أن القي عليك أسئلة أخرى.

ثم سكت لحظة وأردف بعدها يقول:يمكنك الانصراف الآن.

ونهضت كلاريسا واستدارت لتدخل قاعة المكتبة إلا أن المفتش اعترض طريقها وهو يقول:كلا.. ليس من هنا يا مسز براون.

وفتح باب البهو فشعرت كلاريسا بالحرج وقالت:

- أوه.. كنت أرغب للحاق بزملائي في قاعة المكتبة.

- ستفعلين هذا بعد قليل.

وخرجت كلاريسا إلى البهو وأغلق المفتش الباب وراءها وعاد يسأل مساعده

- استدعي مسز بيك؟

- إنها في حالة هسترية.. وهي طريحة الفراش.

- لا مانع أن تتصل بها مسز براون.. ولكن لا داعي أن تخبر الرجال الثلاثة بذلك فأنا أريد أن أسمعهم جميعا كل على حدة...

وسكت قليلا وهو يفكر ثم استطرد يقول:

- هل أحسنت إغلاق الباب المؤدي من الصالة إلى المكتبة؟

- نعم يا سيدي المفتش وقد احتفظت بالمفتاح معي.

★ ★ ★

إذن استدعي الخادم الآن لعله يبوح لنا بشيء

- تقصد إيلجن؟

- نعم.. «نادي» عليه.

ففتح الرقيب الباب لاستدعاء إيلجن إلا أنه فوجيء به يسترق السمع على الباب وأحس الخادم بالارتباك.. فدعاه الرقيب لمقابلة المفتش ثم أغلق الباب وعاد وأشار المفتش عليه بالجلوس على أحد المقاعد.

- اجلس يا إيلجن.

وعاد المفتش يقطع الغرفة كعادته ذهابا وإيابا وراح يسأله:

- إيلجن سمعت أنك ذهبت إلى السينما كالعادة في عطلتك الأسبوعية إلا أن هذه المرة قطعت فيها برنامج الحفل السينمائي وعدت بسرعة.. ترى لماذا؟

- قلت لك يا سيدي المفتش إن زوجتي تعرضت لنزلة معوية أرغمتني على العودة.

- هل أنت الذي فتحت الباب لمستر كوستيللو حين جاء إلى هنا؟

- نعم يا سيدي.

- لماذا لم تقل في حال حضورنا إن السيارة الموجودة في الخارج خاصة بمستر كوستيللو؟

- أنا لم أعرف أنه صاحب السيارة كما أن السيارة لم تكن أمام الباب.

- من العجيب أنه لم يقف بسيارته أمام الباب.. أليس كذلك؟

- نعم.. ولكن ربما كان هناك سبب لذلك.

- فصاح المفتش قائلا: ماذا تقصد؟

- لا أقصد شيئاً.

- فقال المفتش في حزم:هل شاهدت مستر كوستيللو من قبل؟

- لم أشاهده إلا هذا المساء فقط.

- ألم يكن مستر كوستيللو وراء عودتك من السينما مبكرا على غير العادة؟

- قلت لك إن زوجتي قد أصابها ....

- لا أرغب في سماع شيء عن زوجتك.. منذ متى تعمل في خدمة مستر براون؟

- منذ شهر ونصف فقط.

- وقبل ذلك أين كنت تعمل؟

- كنت أنشد قليلاً من الراحة.

- ماذا؟ قليلاً من الراحة.. هل تعرف أن في مثل هذه القضايا ينبغي علينا أن نفحص أوراقك ومستنداتك ونفتش عن ماضيك.

- فتلعثم إيلجن وغمغم قائلا:

- الحقيقة أنني فقدت أوراقي ولا أذكر أين وضعتها؟

- لهذا زورت بنفسك شهادات أخرى غيرها لتضليل المجتمع.

- ولكن هذا لا يؤذي أحداً.. وكان يجب أن أفعل شيئا لكي أعمل وأعيش.

- دعك من شهاداتك المزيفة.. حدثني الآن ماذا تعرف عن كوستيللو؟

- قلت لك يا سيدي إنني لم أشاهده قبل الليلة.

ثم نظر إلى باب البهو في حذر واستطرد قائلا:

- ولكن ربما ذكرت لك سبباً منطقياً لقدومه.

- ما هو السبب؟

- الابتزاز.. ربما كان يعرف عنها شيئا.

- تقصد مسز براون؟

- نعم لقد سمعت شيئا من هذا بالتحديد.

- ماذا سمعت بالضبط؟

- سمعتها تقول: «هذا ابتزاز لن أرضخ له مهما كان الثمن».

فقال المفتش في حذر:

- هل سمعت شيئاً آخر؟

- كلا لأنني حينما دخلت عليهما لاذا بالصمت وحين خرجت عادا يتحدثان بصوت خافت لا يرقى إلى أذني.

- حسنا .. انصرف أنت الآن.

- أشكرك يا سيدي المفتش.

وهرع مسرعا ناحية الباب بينما همس المفتش في نفسه:

- ابتزاز!!!

فعلق رقيب الشرطة قائلا: أليس غريبا يا سيدي أن سيدة رقيقة مثل مسز براون يبتزها أحد الأشخاص لماض مشين إنني لا أصدق أن لها ماضياً مخجلاً ولم يعلق المفتش على كلامه وظل صامتا يفكر حتى نهض واقفا وهو يقول:

- أحضر مستر هوجو بيرش.

وهب الرقيب واقفا واتجه ناحية الباب يستدعي هوجو.

ودخل هوجو متظاهرا بالثبات والصلابة وأشار إليه المفتش بالجلوس على أحد المقاعد قائلا: تفضل بالجلوس يا مستر هوجو.

وأردف المفتش يقول:

- حادث مؤسف يا مستر هوجو.. أليس كذلك؟

- فأجاب هوجو في تحدٍ: لا شأن لي بذلك.

- لماذا؟

- ماذا تريد أن أقول.. إنني مازلت منهارا حين شاهدت جثة القتيل أظن أنك لن تستفيد من استجوابي إطلاقا.

- أهذا هو كل ما لديك.. لا تعرف شيئاً عن الموضوع؟

- نعم فأنا لا أعرف هذا الرجل.

- ولكن بالتأكيد سمعت عنه.

- نعم.. سمعت عنه أنه قذر.

- كيف؟

- لا أعرف ولكن سمعت أنه من هؤلاء الشباب الذين تعشقهم النساء ويمقتهم الرجال.

- هل لديك معلومات عن أسباب عودته للبيت هنا مرة ثانية في المساء؟

- كلا.

- هل تتوقع أن هناك علاقة تربطه بمسز براون؟

- كلاريسا؟ كلا.. هذا وهم إنها سيدة لطيفة وحكيمة وذات عقل رصين.

- ألم تكن تعلم أن الجثة في هذا المخبأ السري؟

- كلا طبعا.

- أشكرك يا مستر هوجو.

فنهض هوجو.. وحاول أن يعود إلى قاعة المكتبة ولكن الرقيب اعترض طريقه فاستدار ناحية باب الحديقة فقال الرقيب وهو يشير إلى باب البهو:

- من هنا يا مستر هوجو.

واصطحبه حتى الباب ثم أغلقه وعاد إلى المفتش.

في تلك الأثناء كان المفتش قد تناول كتابا بعنوان «عظماء بريطانيا» ووضعه أمامه على مائدة البريدج وراح يقلب أوراقه إلى أن عثر على ضالته فقرأ بصوت عال:

- سير رولاند، إدوارد مارك ديلاهي، درس في كلية

ترينتي بأيتون وعين ملحقا بوزارة الخارجية ثم شغل منصب سكرتير ثان بأسبانيا ثم عين وزيرا مفوضا بالخارجية البريطانية في سفارتها بتركيا.

- فصاح الرقيب: رباه.. إنه شخص مرموق.. هل استدعيه يا سيدي؟

- كلا.. دعه في نهاية المطاف، إنني أريد الآن استجواب مستر جيريمي وارندر.

★ ★ ★

وجاء جيريمي متظاهرا بعدم الاهتمام لما يدور حوله وأشار المفتش عليه بالجلوس في أحد المقاعد وجلس حتى اقترب منه المفتش قائلا:

- ما هو اسمك؟

- جيريمي وارندر.

- أين تقيم؟

- ٢٤٠ شارع برود،٢٤ ميدان حروزفتر وفي قرية هبلستون بمقاطعة ويلتشاير إحدى القرى الريفية المعروفة.

- إذن يبدو من ذلك أنك من أصحاب الأملاك العقارية.

- كلا أنا أعمل سكرتير خاص لسير لازاروس شتاين وهذه العناوين هي خاصة به.

- منذ متى تعمله معه؟

- منذ عام تقريبا.

هل سبق لك معرفة أوليفر كوستيللو؟

- لم أسمع عنه إلا هذه الليلة.

- هل شاهدته عند زيارته لهذا البيت مساء الليلة؟

- كلا.. كنت بصحبة هوجو وورلاند للعب الجولف لأن خدم البيت في إجازة اليوم فقد دعانا مستر هوجو لتناول العشاء في الناي.

- وهل دعا مسز كلاريسا أيضا للعشاء معكم؟

- كلا..

فارتسمت الدهشة على وجه المفتش واستطرد جيريمي يقول:

- كان يمكن لها أن تأتي إذا رغبت في ذلك.

- هل معنى هذا أنه دعاها ولم توافق؟

- كلا.. كلا.. إنما أقصد أن مستر براون يكون مرهقا حال عودته وقد أخبرتنا أنها ستنتظر لإعداد شطائر اللحم البارد له.

- إذن كانت مسز براون تنتظر زوجها لتتناول العشاء

معه.. ألم تتوقع خروجه مرة أخرى بعد مجيئه؟

- الحقيقة أنني لا أعرف ولكنها قالت إن زوجها سيعود متأخراً هذه الليلة.

- لماذا إذن فضلت تناول العشاء بمفردها مادامت تعرف أن زوجها سيعود متأخرا الا يدعو هذا للدهشة؟

- إنها رغبت في البقاء حرصا على بيا فهي فتاة صغيرة ولا ينبغي أن تتركها بمفردها.

- وربما بقيت هنا لاستقبال ضيفها دون أن يشعر أحد.

- فثار جيريمي وهب واقفا ليقول لمحدثه:

- هذا كلام حقير.. لا يجب أن يتردد.

- ومع ذلك جاء الضيف وهي بمفردها والخدم في إجازة والطفلة في فراشها والزوج في عمله ومسز بيك في غرفتها الملحقة بالحديقة.

- عليك أن تسألها هي لا شأن لي بذلك.

- لقد سألتها بالفعل.

- وماذا كان جوابها؟

- نفس جوابك.

- إذن أجابت بالحقيقة.

- أخبرني يا جيريمي.. كيف توافقتم في العودة مبكرا من النادي؟ هل كان هذا اتفاق مبدئي قبل انصرافكم من هنا؟

- نعم.. أقصد لا..

- ماذا تريد أن تقول يا جيريمي؟

- حدث ما يلي.. نحن ذهبنا معا للنادي واتجه رولاند وهوجو نحو قاعة الطعام مباشرة وأنا قصدت ملعب الجولف إلى أن لحقت بهما في قاعة الطعام، وتناولنا وجبة طعام خفيفة ورحنا نتحدث عن البريدج ثم طلبت منهم العودة لممارسة لعبة البريدج في منزل براون وهكذا عدنا مبكرا.

- إذن كنت صاحب الفكرة؟

- قد يكون مستر هوجو هو الذي تحدث عنها في البداية.

- ومتى كانت عودتكم بالتحديد؟

- لا أستطيع أن أذكر بالتحديد ولكن غادرنا النادي في الساعة الثامنة.

- وكم مضى من الوقت من النادي إلى هنا؟ خمس دقائق مثلا؟

- ربما .. إن ساحة الجولف تقع بجوار حديقة البيت.

- هل لعبتم البريدج بعدها؟

- نعم.

- أي أنكم لعبتم قبل مجيئي بنحو ثلث الساعة وهي فترة غير كافية لإنهاء شوطين وشرعتم في الشوط الثالث.

قال ذلك وهو يشير إلى ورقة على طاولة البريدج كتبتها كلاريسا بخط يدها.

فارتبك جيريمي قائلا:

- ماذا قلت؟ كلا .. إننا لعبنا شوطًا واحدًا فقط.

- هل كنت تعرف شيئاً عن الفجوة السرية بين هذه الغرفة وقاعة المكتبة؟

- تقصد المكان الذي شاهدنا فيه الجثة؟

- ذلك ما أعني.

- كلا .. كلا .. لم أكن أعرف عنه شيئا إنه مخبأ سري عجيب.

وجلس المفتش على الأريكة فسقطت الوسادة وشاهد المفتش القفازات الثلاثة وقال:

- أفهم من هذا أنك لم تكن تعلم بوجود الجثة هناك.

- إنني كدت أموت فزعا حين شاهدتها.

* * *

وأخرج المفتش قفازاً من سترته وقال ملوحا للشاب:

- هل هذا قفازك يا مستر وارندر؟

- لا .. اقصد نعم.

- هل كنت ترتديه عندما عدت من نادي الجولف؟

- كان الجو باردا.

- انت مخطئٌ يا مستر جيريمي .. فهذا القفاز خاص بمستر براون.

- هذا لطيف بالفعل .. لقد كان بحوزتي قفاز مثله.

- فأبرز المفتش قفازاً آخر وهو يقول:

- لعل هذا قفازك؟

- فانفجر جيريمي ضاحكا وهو يقول:

- لا .. لن تخدعني هذه المرة فالقفازات متشابهة.

فأظهر المفتش قفازا ثالثاً وهو يقول:إن عليها الحروف الأولى من اسم مستر براون.

- وما الغرابة في ذلك .. أنه صاحب البيت ولا مانع من وجودهم هنا.

- الشيء المضحك أنك ظننت أن أحد هذه القفازات خاص بك بينما قفازك يتدلى من جيبك.

- فأخرج جيريمي قفازه من جيبه قائلا:

- نعم.. هذا قفازي.

- لكنه لا يتشابه مع هذه القفازات الثلاثة أليس هذا صحيحا؟

- الحقيقة.. أنه قفازي الذي أستخدمه عند لعب الجولف.

- أشكرك يا مستر جيريمي.

وانصرف جيريمي من الغرفة إلى البهو وأغلق الباب خلفه أما المفتش فقد وضع القفازات على المائدة وراح يقلب صفحات كتاب «عظماء بريطانيا» حتى عثر مرة أخرى على ضالته فقرأ بصوت مسموع:

- سير لازاروس شتاين هو رئيس إدارة شركة بترول الخليج يهوى جمع الطوابع ويلعب الجولف ويهوى أيضا صيد الأسماك.

العنوان: ٢٤٠ شارع برود و٣٤ ميدان جروزفنور.

★ ★ ★

الفصل الثامن

أثناء انغماس المفتش في قراءة بعض صفحات الكتاب وقع بصر الرقيب على ورقة اللعب تركتها الطفلة بيا وأخذها وراه المفتش ثم سأله:

- ماذا وجدت؟

- فأجاب الرقيب: إنها ورقة لعب وعثرت عليها تحت الأريكة.

فتناول المفتش الورقة وحملق فيها ثم قال:

- الآس السباتي.

ثم قلبها بين أصابعه قائلا:

- حمراء.. مثل أوراق اللعب.

وتناول أوراق اللعب من فوق مائدة اللعب ووضعها أمامه.. وفحصها ورقة ورقة ثم راح يقول:

- لا توجد بينها ورقة الآس السباتي.. أليس هذا غريبا يا جونز؟

- نعم غريب حقا يا سيدي المفتش.

- فقال المفتش وهو يدس ورقة الآس في جيبه:

- الآن.. إنني أريد استجواب سير رولاند ديلاهاي.

وتحرك الرقيب يجمع أورق اللعب ووضعها على مائدة البريدج ثم فتح باب المكتبة وهو يصيح:

- سير رولاند.

وحضر السير رولاند وأشار عليه المفتش بالجلوس ولمح السير رولاند القفازات وتسمر مكانه ثوان ثم جلس وهو يغمغم وسأله المفتش:

- اين تقيم يا سير رولاند؟

- اقيم في قرية ليتل بادوك بمقاطعة لنكولنشاير.

ثم أشار بأصبعه إلى كتاب «عظماء بريطانيا» وهو يقول في غضب:

- ألم تقرأ اسمي في هذه الموسوعة أيها المفتش؟

- فأجاب المفتش:أنني أرغب في سماعك عما حدث منذ غادرت هذا المكان قبيل الساعة السابعة مساء.

- بعد أن تحسن المناخ اتفقنا نحن الثلاثة على الخروج لتناول العشاء في نادي الجولف بسبب غياب الخدم هذا اليوم. وحين فرغنا من الطعام اتصلت بنا مسز براون هاتفيا وأخبرتنا أن زوجها حضر وخرج مرة أخرى وسوف يعود في وقت متأخر من هذه الليلة واقترحت أن نعود إليها لنلعب معا البريدج وبعد حوالي عشرين دقيقة من بداية

اللعبة فوجئنا بزيارتك وأنت تعرف ما حدث بعد ذلك.

- إن روايتك تتعارض بعض الشيء مع رواية مستر جيريمي.

- أحقا؟ كيف؟

- قال إن فكرة العودة إلى هنا هي فكرة خطرت لمستر هوجو.

- الحقيقة أن جيريمي جاء متأخرا ولم يعرف أن كلاريسا اتصلت بنا، وأردف سير رولاند يقول بعد نظرات متبادلة مع المفتش:

- إنك تعرف أيها المفتش أن سرد الروايات يختلف في الشكل والتفاصيل بل إن اتفاق الروايات من شأنه أن يدعو للشك.

- هل توافق يا سيدي أن أبحث معك أمر هذه القضية؟

- بكل سعادة أيها المفتش.

- أرى أن كوستيللو جاء إلى هنا لسبب ما.. هل توافقني على هذا؟

- نعم جاء لإعادة متعلقات خاصة بسير هنري كانت بحوزة زوجته ميراندا

- هذا هو السبب الظاهر لنا ولكن كان يضمر بداخله عرضاً آخر.

- ربما .. أنا شخصيا أجهل السبب الجوهري لقدومه.

- قد يكون أراد مقابلة شخص ما وهذا الشخص هو أنت مثلا أو مستر هوجو أو حتى مستر جيريمي.

- ولماذا لم يذهب إلى بيت هوجو إذا كان يرغب في ذلك؟

- إذن فلنخرج مستر هوجو من القائمة فيتبقى لنا أنت وجيريمي ومستر هنري ومسز براون.. والآن ماذا تعرف عن كوستيللو؟

- أنا في الواقع التقيت به مرة أو مرتين لا أذكر.

- أين تم لقاءك به؟

- في بيت براون بلندن منذ عام وأذكر لقاءً آخر جمعني معه في أحد المطاعم.

- هل كنت تمقته؟ وهل فكرت في قتله؟

- كلا .. كلا .. ثم إن هذا اتهام قبيح أيها المفتش.

- كلا يا سير رولاند.. هذا افتراض.. أنا لا اظن أن هناك ما يدفعك لقتله ولهذا يتبقى لدينا ثلاثة أشخاص،

وأردف المفتش يقول:لنبدأ بمستر جيريمي ماذا تعرف عنه؟

- إنني التقيت به هنا منذ يومين للمرة الأولى.. واتصور انه شاب لطيف مثقف.. ولا اظن أنه من هؤلاء القتلة.

- إذن فلنستبعد مستر جيريمي.. فما هو رأيك في هنري براون وزوجته؟

- هنري صديق قديم واعرفه جيدا .. أما زوجته كلاريسا فانا أعرف عنها كل شيء وهي من أحب الناس إلى قلبي.

- اظن أن في إجابتك ما يساعدنا على توضيح أشياء عديدة.

- أهذا صحيح؟

- لماذا غيرتم برنامجكم هذا المساء ولماذا تظاهرتم بلعب البريدج؟

- نتظاهر؟ ماذا تعني؟

- فأخرج المفتش من جيبه ورقة اللعب وهو يلوح بها أمام رولاند.

- إننا عثرنا على هذه الورقة في جانب بعيد من مائدة اللعب وبالتحديد وجدناها تحت الأريكة وأنا لا أظن أنكم لعبتم شوطين ثم بدأتم في الشوط الثالث بحزمة من أوراق اللعب المكونة من ٥١ ورقة وتنقصها ورقة الآس. فتناول

سير رولاند الورقة من يد المفتش وقلبها ثم أعادها إليه وقال:

- نعم.. هذا أمر يصعب تصديقه.

- ثم ماذا تقول عن هذه القفازات الثلاثة الخاصة بمستر براون أليس هذا لافتا للانتباه؟ ويفتقر إلى تفسير منطقي.

فأجاب سير رولاند بعد فترة صمت:

- آسف لن أستطيع أن أفسر لك هذا.

- بل أنا أعتقد أنك تبذل كل ما في وسعك للتستر على سيدة وأنا أنصحك يا سيدي لا داعي لهذا الأسلوب فالحقيقة ستتجلي آجلا أو عاجلا.

- هذا ما أتمناه.

- إن مسز براون كانت تعرف أن الجثة موجودة داخل المخبأ السري ولا أعرف هل هي التي حملتها إلى المخبأ أم أنكم ساعدتموها في ذلك ولكن أنا واثق أنها كانت تعرف أن الجثة داخل المخبأ.

واستطرد المفتش يقول في ثقة:

أنني أعتقد أن أوليفر كوستيللو جاء إلى هنا بالتهديد؟

- التهديد؟ بم؟

- هذا ما سنعرفه.. إن مسز براون شابة جميلة.. وكوستيللو شاب وسيم ويقال عنه إنه كان معبود النساء.

- فصاح سير رولاند قائلا في غضب:

- اسكت.. لا تتكلم.. سأقول لك شيئا يمكنك أن تتأكد منه بسهولة إن هنري كان شقيا في زواجه الأول أما زوجته ميراندا فكانت جميلة ولكنها مريضة عقليا وأصيبت بانهيار عصبي وسمعت أن هنري نقلها إلى المصحة النفسية والكارثة أن زوجته كانت في حالة إدمان للمخدرات، وإن كنا لا نعرف من أين كانت تحصل على المخدرات.. ولكن أصابع الاتهام تشير إلى كوستيللو فقد كانت ميراندا تحبه بجنون وهجرت زوجها وابنتها من أجل الزواج منه.. ورضخ هنري في نهاية المطاف لطلاقها وتزوج من كلاريسا التي كانت زوجة صالحة ولطيفة معه وأستطيع أن أؤكد لك أيها المفتش أن كلاريسا ليس لديها أسرار غامضة كما أقسم لك أنه لا يوجد في ماضيها وحاضرها ما يدفع كوستيللو لتهديدها، وأردف رولاند يقول: لاشك أنك أخطأت أيها المفتش؟

لماذا تتوقع أن كوستيللو قد جاء لمقابلة أحدنا؟ من الممكن أنه جاء من أجل شيء آخر؟

- ماذا تقصد يا سيدي؟

- لقد علمت أن كوستيللو حضر ذات مرة هنا بصحبة مستر سيلون لشراء بعض التحف النادرة فلماذا لا يكون قد جاء من أجل هذا؟

إن رجلا جاء هنا منذ أيام وطلب شراء المكتب بأغلى الأسعار فلماذا لا نتصور أن كوستيللو أتى هو الآخر من أجل هذا المكتب للتفتيش عما في داخله من أشياء نادرة ثم دعنا نفترض أن شخصا آخر كان يراقبه قام بضربه أثناء تفتيشه في أدراج المكتب؟

- لدينا افتراضات كثيرة.

- لكنها منطقية أليس كذلك؟

- وهل من المعقول أن هذا القاتل هو الذي وضع الجثة في المخبأ؟

- ولماذا تستبعد هذا الإحتمال؟

- معنى هذا أن القاتل يعرف سر هذا المخبأ.

- لعله يعلم بشأنه منذ أيام مستر سيلون.

- فقال المفتش بعد أن نفد صبره.

- كان ذلك احتمالاً وارداً.. ولكنه لا يفسر سوى شيئا واحدا.

- ما هو؟

- إن مسز براون.. كانت تعلم بوجود الجثة في المخبأ وحاولت أن تمنعنا من تفتيشه فلا يستطيع أحد أن يقنعني أنها لم تكن تعرف فأطرق سير رولاند لحظة ثم قال:

- هل تسمح لي بالحديث مع كلاريسا أيها المفتش؟

- لا مانع.. ولكن بشرط أن أكون حاضرا.

- موافق.

- جونز.. استدع مسز براون.

★ ★ ★

وأقبلت كلاريسا بعد دقيقة.. فأسرع نحوها رولاند قائلا بسرعة وبصوت هادئ: كلاريسا عزيزتي.. أرجوك صارحي المفتش بالحقيقة.

- كيف أصارحه بالحقيقة؟

- نعم هذا أفضل لك.

- ونظر إليه مليا ثم خرج إلى البهو وأشار المفتش إلى الأريكة قائلا:

- تفضلي بالجلوس يا مسز براون.

- يؤسفني أنني قلت لك كل الأكاذيب ولكن كثيرا ما

تختلط على الإنسان الحقائق بالأوهام.

- فقال المفتش ببرود:

- دعينا من الأوهام ولنتحدث عن الواقع الذي أمامنا.

- إن الأمر بسيط للغاية.. جاء زوجي وانصرف.. ثم تبعه أوليفر وانصرف ثم نهضت لإعداد الشطائر لزوجي.

- أية شطائر؟

- إن زوجي سيستضيف شخصية رفيعة المستوى من خارج بريطانيا.

- من هو هذا المندوب؟

- شخص يدعى مستر جونز.

فنظر المفتش مبتسما ناحية الرقيب جونز قائلا:

- مستر جونز؟!

- نعم وفهمت أنهما سيتناولان العشاء هنا وأحضرت الشطائر على المائدة وحين شرعت في ترتيب أثاث المنزل قمت بوضع أحد الكتب على الرف حتى تصطدمت بشيء على الأرض.

- تقصدين الجثة؟

- نعم كانت وراء المكتب.. انحنيت نحوها حتى أكشف

عن صاحبها وتبين لي أنه كوستيللو ولم أعرف ماذا يجب أن أفعل فاتصلت بنادي الجولف لاستدعاء الرجال الثلاثة.

فقال المفتش في هدوء:

- ولماذا لم تفكري في إبلاغ البوليس؟

- أنا فكرت.. ولم أتصل.

فتنهد المفتش وهو يقول:

- ولماذا لم تتصلي؟

- تصورت أن اتصالي سيسيء إلى مكانة زوجي.. فأنت تعرف حساسية المنصب الدبلوماسي إنهم يرغبون دائما في تجنب المشكلات المثيرة للقلق والفضائح.. وهذه الجريمة من شأنها إثارة ضجة هائلة قد تضر بمركزه السياسي.

- أتفهم ذلك.

- إنني مسرورة لأنك تفهمت ذلك.. المهم إنني تأكدت من مفارقته للحياة بعد أن أرهفت السمع لنبضات قلبه الذي توقف وفكرت أن انتقال الجثة من مكانها إلى مكان آخر لن يضر بي بل فكرت في نقلها إلى غابة مارسدن

- غابة مارسدن..؟ وما علاقة ذلك بالجريمة؟

- فكرت في نقل الجثة إلى هذه الغابة.

وراح المفتش يجوب الغرفة في قلق وهو ينظر إلى سقف الغرفة ثم قال:

- اسمعيني جيدا يا مسز براون.. ألا تعرفين أن الجثة يجب الا يقترب منها أحد.

-اعرف ذلك من خلال قراءتي للقصص البوليسية فقط؟

- هل تعرفين أن كلماتك تنطوي على مخاطر تحيط بك؟

- طبعا.. فأنت تطلب مني قول الحقيقة أليس كذلك؟ المهم نعود لحديثنا. لقد اتصلت بالرجال الثلاثة في النادي وحضروا على الفور.

- وطلبت منهم مساعدتك في نقل الجثة داخل المخبأ السري؟

- كلا.. إنني طلبت منهم نقل الجثة إلى السيارة لتركها في الغابة.

- ثم وافقوا على رأيك؟

- نعم وافقوني.

- اسمحي لي أن أقول لك بصراحة: إنني لا أصدق حرفاً واحداً مما قلتيه فكيف لثلاثة من الرجال المرموقين في المجتمع يرضخون لرأي خطير كهذا من شأنه أن يعرقل سير العدالة لسبب تافه وساذج كالذي ذكرتيه.

- فقالت كلاريسا: أعرف أنك لن تصدقني فهذا كل ما عندي.

- فقال المفتش:إنني أظن أن هناك سببا واحدا يمكن أن يقنع هؤلاء الرجال بالرضوخ لمطالبك.

- فقالت كلاريسا: وما هو هذا السبب؟

- هو أنهم واثقون من ارتكابك لهذه الجريمة.

- ولكن لماذا أقتله؟ لا يوجد لدي دافع لهذه الجريمة.. كنت أتوقع هذا.. ولاذت بالصمت فنظر إليها المفتش في حزم وهو يقول:

- ولذلك؟

- وساد الصمت بينهما وراحت تفتق ذهنها وقررت أن تتحدث بأسلوب أكثر صراحة.. وقالت:

- دعني أصارحك بالحقيقة التي تسعى إليها.

- من الأفضل لك أن تفعلي ذلك.

- نعم.. من الأفضل أن أبوح بها.

فتنهد المفتش وقال:

- تأكدي يا سيدتي أن الكذب على الشرطة لن يفيدك كثيرا.. وعليك أن تبوحي بكل ما في حوزتك من أسرار.

- فارتمت كلاريسا على أحد المقاعد وهي تقول:

- رباه.. كنت أتصور أنني ذكية وسأتمكن من خداعك.

-ادخلي في الموضوع بسرعة يا كلاريسا.

- كانت البداية كما ذكرتها لك ودعت كوستيللو وصحبته مسز بيك ولم أتصور أبدا أنه سيعود.. لماذا سيعود؟ ثم اقبل زوجي وأخبرني أن لديه مهمة عاجلة تتطلب انصرافه في التو، وركب سيارته وما كدت أغلق الباب الخارجي حتى أحسست بتوتر مفاجئ انتاب أعصابي.

- لماذا؟

- إن أعصابي تتوتر أحيانا حين أدرك أنني بمفردي في هذا البيت الكبير.

- وماذا حدث بعد هذا التوتر؟

- قلت لنفسي لماذا أخاف ومن أي شيء أخاف.. إن لدينا تليفون يمكننا الاتصال منه بالشرطة إذا دعت الأمور لذلك، ثم أي لص هذا الذي سيتسلل مبكرا إلى هنا؟ ورغم ذلك سمعت وقع اقدام وأبواب تفتح وأخرى تغلق وأقنعت نفسي أن هذه من ضروب الأوهام والخيال.

- وماذا أيضا؟

- توجهت إلى المطبخ لإعداد شطائر اللحم ووضعتها في

صفحة واخترقت قاعة البهو في طريقي إلى هنا حين سمعت صوتا.

- أين..؟

- في هذه الغرفة.. كان الصوت واضحا وأدركت أن هذا ليس وهماً فالأدراج تفتح وتغلق بصوت مسموع.. وتذكرت فجاة أنني تركت الباب المؤدي للحديقة مفتوحا ربما قد تسلل أحدهم منه...

- استمري في حديثك يا مسز براون.

- الواقع أنني شعرت بشلل في التفكير.. تجمدت كالصنم في مكاني.. ثم قلت لنفسي:

- الا يحتمل أن يكون هنري أو أحد الأصدقاء الثلاثة عاد لشيء ما؟ في هذه الحالة لم أكن أتصور أن أتصل بالشرطة.. ثم فكرت قليلا.

- نعم وماذا حدث؟

- ذهبت إلى المكتب عن طريق المكتبة.. وتناولت عصا ثقيلة من مجموعة عصي كثيرة يحتفظ بها هنري.. وتسللت على أطراف أصابعي إلى الفجوة على أمل أن أمر منها فأشاهد ما يحدث دون أن يراني أحد كان الظلام دامسا ولم أسع لإضاءة الكهرباء وكما يوجد هنا زر لتحريك رفوف

المكتبة يوجد أيضا على الناحية الأخرى زر مماثل.

ضغطت الزر، فتحركت الرفوف والواضح أنها اصطدمت بأحد المقاعد.. لأنني شاهدت رجلا منحنيا فوق المكتب وحين سمع حركة الرفوف نهض واقفا.. وحينئذ رأيت في يده شيئا لامعاً تصورت أنه مسدس واستولى علي الفزع وخشيت من إطلاق الرصاص فأهويت عليه بالعصا بكل ما أوتيت من قوة فسقط على الأرض.

قالت ذلك وهي تضع وجهها بين يديها وغمغمت بصوت خافت:

- أعطني قدحا من الشراب.. أرجوك.

فنهض المفتش يصيح:جونز وأسرع الرقيب لإحضار الشراب فتناولته احتسته في جرعة واحدة ثم سعلت وأعادت كأس الشراب إلى المفتش الذي وضعه بدوره على المكتب.

وتقدم المفتش من كلاريسا وهو يقول لها في رقة وعذوبة:

- هل يمكنك المضي قدما في حديثك يا عزيزتي؟

- فأجابت: نعم.. نعم سقط الرجل على الأرض ولم يتحرك فأشعلت النور وتفحصت وجهه فإذا به

كوستيللو.كان قد فارق الحياة.. لم أفهم حتى الآن ما الذي أتى به إلى هنا ولماذا كان يفتش في أدراج المكتب؟ شعرت أنني في حلم مخيف حتى انتبهت فأجريت اتصالا بالأصدقاء الثلاثة الذين حضروا على جناح السرعة وقد رجوتهم معاونتي في نقل الجثة.

- ولكن لماذا؟

- لأنني كنت خائفة.. خائفة من الشرطة والنيابة والصحافة خائفة أيضا على مركز هنري المرموق.

ونظرت في أسى إلى المفتش وهي تقول: لو كان القتيل لصا ما خشيت من شيء ولكن القتيل كنا نعرف أنه زوج مطلقة هنري.. وهذا هو ما أثار أعصابي.

- خاصة أنه حاول ابتزازك قبل مقتله.

- الابتزاز.. هذا هراء.. ليس لدي ماضي مشين حتى أتعرض للإبتزاز.

- هل تنكرين أن كلمة الابتزاز لم تتردد في حديثك معه؟

- أقسم لك أن هذه الكلمة لم تتردد في حديثي معه.

- ولكن إيلجن الخادم سمع ذلك.

- هذا افتراء وكذب.. وراحت تحاول أن تضرب المنضدة بيدها ثم توقفت فجأة وهي تضحك في هسترية ثم

قالت:أوه..لابد أن يكون هذا الذي يقصده.

- إذن أنت تذكرت الآن؟

- نعم فالكلمة ترددت في أثناء حديثنا عن إيجار البيوت المفروشة.. حيث قال أوليفر إن أصحاب البيوت يطلبون مبالغ عالية فأجابته إننا محظوظين للعثور على هذا البيت وبسعر مناسب لنا تماما.حيث قلت له إننا ندفع شهريا حوالي اثنى عشر جنيها فقط فصاح قائلا إذا كان ذلك كذلك فهذا ابتزاز منكم لصاحب البيت إنكم تبتزونه.

- فقال المفتش: يؤسفني يا مسز براون أن أقول لك إنك مازلت تكذبين.

- لماذا لا تصدقني أيها المفتش؟

- كيف أصدق أنكم تدفعون أربعة جنيهات كل أسبوع في هذا القصر المنيف.

- أوه.. إنك تتشكك دائما فيما أقول لذلك أنت لا تصدق شيئا مما قلت إن بعض ما رويته لا أستطيع أن أبرهن عليه بأشياء ملموسة ولكن موضوع الإيجار يمكنني إثباته من خلال الأوراق والعقود...

قالت ذلك واتجهت إلى المكتب وفتحت أحد أدراجه وراحت تفتش عن عقد الإيجار ثم صاحت:

- هذا هو عقد الإيجار.

وقدمته للمفتش وأردفت تقول:

- إنه عقد قانوني يحمل توقيع المحامي المسئول عن تنفيذ وصية صاحب البيت اقرأ.. أربعة جنيهات في الأسبوع.

فهز المفتش رأسه في دهشة وهو يقول:

- أنا لا أصدق.. هذا مستحيل.. مستحيل.

فرمقته بنظرة تهكم وقالت:

- عليك أن تعتذر.. فمن واجبك أن تعتذر لي على تكذيبك لي.

- إنني أعتذر لك وإن كنت غير مقتنع بهذا السعر الغريب.

- لماذا لا تصدق غير ذلك؟

- لأنه منذ أسابيع جاءت إلى هذا البيت سيدة بصحبة زوجها لمشاهدته واستئجاره وذكرت أن أحدكم أبلغها أن إيجاره الأسبوعي يبلغ ثمانية عشر جنيها وقد رفضت ذلك لابتعاده عن المدينة لهذا رفضت استئجاره وعلمنا ذلك في قسم الشرطة حين جاءت لتقديم بلاغ عن عقد ثمين فقدته.

- فابتسمت كلاريسا وقالت:

- الآن عرفت لماذا لا تصدق كلامي وإن كنت أرجو أن تصدق أي شيء مما ذكرته.

- فقال المفتش: أنا أصدق روايتك الأخيرة فالصدق هو الذي دفع أصدقاءك الثلاثة إلى التستر عليك.

- أرجو منك ألا تلوم أحداً منهم على ذلك فإنني أتحمل مسئولية هذا الخطأ وقد ضغطت على مشاعرهم حتى رضخوا واستجابوا.

- فقال المفتش وهو ينظر إليها بإعجاب لقوة شخصيتها:

- أنا واثق من ذلك لكن الأمر الذي يثير دهشتي هو من هو الشخص الذي أخبرنا بذلك هاتفيا؟

- آه.. لقد نسيت.. هذا صحيح.

- من الثابت أنك لم تفعلي هذا.. كما لم يفعله أحد أصدقائك الثلاثة.

- فقالت كلاريسا:

- ربما إيلجن.. أو مسز بيك.

- كلا.. إن مسز بيك لم يكن لديها علم بما حدث.

فقالت كلاريسا في ارتباك:

- ما يدريك لعلها هي فعلا.

- كلا.. كلا.. لقد تعرضت لصدمة عنيفة حين شاهدت الجثة.

- ولكن أي إنسان يمكنه أن يتصنع هذا.

- فقال المفتش وهو ينظر إليها نظرات لا تخلو من الشك.

- على أية حال فإن مسز بيك لها غرفتها الخاصة البعيدة عن مسرح الجريمة.

- ولكن لا تنسى أن معها مفاتيح لجميع أبواب البيت ويمكن لها الدخول في أي لحظة.

- إنني أرى أن إيلجن هو الذي أخبرنا هاتفيا.

- فقالت كلاريسا: دعك من هذا.. المهم هل ستقودني إلى السجن؟ إن سير رولاند أبلغني أنك لن تفعل ذلك.

- من حسن الطالع أنك عدلت في اللحظات الأخيرة عن روايتك الكاذبة وهو ما سيخدمك بالطبع ولذا فأنا أنصحك الآن بضرورة الاستعانة بمحاميك الخاص فالأمر يتطلب وجوده بجانبك في هذه اللحظات الحرجة. وأنا سوف أبعث بدوري أقوالك لكتابتها على الآلة الكاتبة لكي تقومي بالتوقيع عليها.

- في تلك الأثناء دخل سير رولاند عليهما وقال:

- لا أتحمل الانتظار أكثر من كل هذا الوقت.. هل كل شيء على ما يرام أيها المفتش؟ هل عرفت الآن ملابسات الحادث؟

فأسرعت إليه كلاريسا وهي تقول:

- عمي العزيز.. لقد اعترفت بكل شيء وسوف ينسخ أقوالي على الآلة الكاتبة لأوقع عليها وقد ذكرت له إنني قتلته ظنا مني أنه لص.

فنظر إليها سير رولاند في دهشة وهلع وهم بالكلام فوضعت يدها على فمه ترجو سكوته وأردفت قائلة:

- حين اكتشفت أنه كوستيللو.. أصابني الرعب والفزع فاتصلت بكم في النادي وتوسلت إليكم وناشدتكم كثيرا.. إنني بالفعل كنت مخطئة.. لكنني أثناء ارتكاب الجريمة كنت ضحية للرعب والفزع.. حتى أنني ظننت أن من مصلحتنا جميعا أن ننقل الجثة إلى الغابة بواسطة السيارة.

فسكت سير رولاند لحظة ثم قال:

- ما هذا الكلام يا كلاريسا؟

- فقال المفتش باطمئنان:

- إن مسز براون اعترفت بكل التفاصيل يا سيدي.

- فقال رولاند ربما

- فقالت كلاريسا :إن اعترافي هو أفضل خطوة اتخذتها والإنكار لا داعي له.

- فقال المفتش: هذا سيصب في مصلحتك عند نهاية المطاف.. والآن أخبريني يا مسز براون أين كان يقف الرجل حين هممت بضربه؟

- فأجابت كلاريسا :آه.. حسنا..

وأسرعت إلى المكتب ووقفت على جانبه الأيسر وهي تقول:

- كان يقف هنا.. هكذا..

فاقترب منها المفتش وأشار إلى مساعده فأسرع إليه ووضع إصبعه على الزر.

فقال المفتش:آه.. إذن عند ذلك تحركت الرفوف.

فضغط الرقيب الزر.. وتحركت الرفوف وكشفت عن المخبأ السري ثم خرجت أنت بدورك منها والتفت هو ناحية المخبأ.. فأصابه الهلع والفزع فتسمر مكانه ثم دار على عقبيه وصرخ أليس كذلك؟

ولم يستطع المفتش أن يكمل توقعاته فقد صرخ قائلا بأعلى صوته:

- يا إلهي.. أين الجثة.. اين جثة أوليفر كوستيللو؟

ودخل المخبأ يبحث عنها دون جدوى فعثر على أرضه على قصاصة صغيرة من ورقة بيضاء التقطها وهو ينظر بعين الشك نحو رولاند وكلاريسا تأمل المفتش الورقة وقرأ ما بها من صوت مسموع:

«خاب أملك.. لقد سبقتك إلى الكنز»

أثناء تلك المفاجأة.. دق جرس الباب الخارجي للمنزل.

★ ★ ★

الفصل التاسع

ما من شك أن اختفاء جثة أوليفر كوستيللو أصابت الجميع بالذهول ولم ينتبه أحد منهم إلى ضوضاء سيارات أجهزة الأمن المرابطة أمام المنزل.. ورغم فداحة الموقف هرع المفتش والرقيب إلى الباب الخارجي لاستطلاع الأمر وظل سير رولاند وكلاريسا داخل قاعة الاستقبال فقد أخذتهما الدهشة وراحا يتبادلان نظرات الدهشة والعجب.. غير أن كلاريسا قد شعرت بقليل من الراحة ظنا منها أن اختفاء الجثة سينفي وقوع الجريمة.

وانتبه رولاند وكلاريسا لصوت المفتش وهو يتحدث بصوت حزين مع الطبيب الشرعي.. واقتربا منهما ليسترقا السمع عما يدور بينهما.

- أسف جدا يا دكتور.. لقد كانت لدينا هنا جثة.

- فقال الطبيب: هل تقصد أنني جئت إلى هنا دون جدوى؟ إنك أخبرتني عن جريمة قتل ونصحتني بضرورة إحضار خبير البصمات والمصور لفحص الجثة؟

- إنني أؤكد لك أن الجثة كانت موجودة.

وتدخل هوجو وجيريمي في حديث المفتش والطبيب فقال هوجو:

- ما هو دوركم إذن يا رجال الشرطة إذا كانت الجثة تختفي هكذا في حضوركم.

- وقال جيريمي:أنا لا أدري لماذا لا ينصبون شرطيا حارسا على الجثة؟

- فقال الرقيب:المفتش ذكر الحقيقة كلها يا دكتور.. نعم كانت هنا جثة.

- فقال الدكتور:أين ذهبت إذن؟

- فأجاب المفتش: هذا ما نبحث عنه الآن.

- إذن لا حل لدي سوى تقديم تقرير عاجل لرؤسائك أيها المفتش.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

★ ★ ★

بعد هذا الحوار العاصف.. سمع رولاند وكلاريسا صوت أقدام كثيرة خارج البيت وبعد ثوان من الصمت صاح المفتش في غضب:

- وماذا يا إيلجن؟

- فأجاب الخادم: أنا لا أعرف شيئا يا سيدي.. لا أعرف شيئاً.

فانفجرت كلاريسا ضاحكة وهي تلقي بنفسها على الأريكة وتسلل رولاند إلى الباب ليغلقه وعاد يقول:لقد جاءت أجهزة الأمن العام في وقت غير ملائم ويبدو أن الطبيب الشرعي أصابه الغيظ حين حضر دون جدوى.

- فقالت كلاريسا:عن الذي قام بإخفاء الجثة؟ أتظن أن جيريمي هو الذي قام بذلك؟

- فأجاب سير رولاند:

- لا أتوقع ذلك.. فإنهم منعوا الدخول إلى قاعة المكتبة.. ثم أنسيت أن المكتبة والبهو مغلق؟ وأردف رولاند يقول:

- ياله من مفتش مسكين.. إن العبارة التي كتبتها بيا هي القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقولون.

- فضحكت كلاريسا وأردف رولاند يقول:

- إن وجود الورقة في المخبأ يدل على أن كوستيللو اكتشف الدرج السري وفتحه ثم لدى سؤال يا كلاريسا.

- لماذا حجبت الحقيقة عن المفتش يا كلاريسا؟

- لقد اعترفت بكل شيء ما عدا دور بيا في الجريمة.

- بربك يا كلاريسا.. لماذا رويت له كل هذه التفاصيل السخيفة؟

- الحقيقة أنني ذكرت له كل الأشياء التي ستنطلي عليه وقد حدث.

- لكنك تورطت الآن وأظن أنك صرت في مأزق خطير.

- كلا.. إنها جريمة دفاع عن النفس.

وفتح الباب ودخل منه هوجو وجيريمي وقال هوجو:

- ياله من مفتش حقير وسافل وها هي الجثة قد اختفت.

- وقال جيريمي وهو يلتهم قطعة من شطائر اللحم البارد:

- يا إلهي.. إنه حادث يثير شهيتي للضحك.

فقالت كلاريسا: بل هو حادث مثير وغريب.. إنني أتوق لمعرفة هوية الرجل الذي أخبر البوليس بتلك الجريمة؟

- فقال جيريمي:إنه إيلجن.

- فقال هوجو:بل هي مسز بيك.

- فقالت كلاريسا :ولكن لماذا؟

وهنا تسللت مسز بيك الغرفة على أطراف أصابعها وهي تنظر حولها وتقول للحاضرين.. هل انتهى الأمر؟ هل يوجد هنا أحد من رجال الشرطة؟

لقد اقتحموا البيت كجيش من الجراد.

- فقال سير رولاند :إنهم يفتشون.

- يفتشون عن ماذا؟

- عن الجثة.. إنها اختفت.

فانفجرت مسز بيك ضاحكة وقالت:

- أوه.. إنها نكتة..!! الجثة اختفت وتبخرت.. كما ترى في الأفلام.

أليس هذا صحيحا يا كلاريسا؟

- فقال سير رولاند:

- هل تشعرين أنك بخير الآن يا مسز بيك؟

- نعم.. أنا بخير.. إنني بصحة جيدة.. ولكن ظهور الجثة أمامي أصابني بصدمة عنيفة وهز أعصابي.

- فقالت كلاريسا :لقد تصورت أنك كنت تعرفين بوجودها؟

فصرخت المرأة في وجه كلاريسا:

- من..؟ أنا؟

- نعم أنت:

- فقال هوجو:من المستفيد من سرقة الجثة؟ إننا جميعا

نعرف أن هناك جثة ونعرف صاحبها فلماذا اختفت؟

- فقالت مسز بيك: إنني لا أوافقك الرأي يا مستر هوجو.. إن وجود الجثة ضروري لإقامة الدعوى الجنائية وبدونها فلا يمكن توجيه أصابع الاتهام لأحد، والتفتت إلى كلاريسا وأردفت تقول:

- لهذا اطمئني يا مسز براون فالأمور ستكون على ما يرام.

- اتقصدين أن...

- فقطاعتها مسز بيك وقالت:

- إنني تلصصت على كل ما قيل في هذه الليلة.. إنني لم اكن نائمة كما ظننتم في غرفة الضيوف كل هذا الوقت.

- إذن فقد سمعت؟

- إنني دائما أحب أن أساند بنات جنسي واختفاء الجثة هو في صالحك والحقيقة أن هذا الرجل كان يستحق القتل ويذهب إلى الجحيم وحسنا ما فعلت.

- والحقيقة أنني لم...

- لقد استمعت حوارك مع المفتش ولولا حماقة إيلجن وحرصه على استراق السمع لصدق المفتش روايتك.

- أية رواية تقصدين؟

- تلك التي ذكرت فيها أنك فهمت أن القتيل لصا.. ولولا حكاية الابتزاز لما تشكك المفتش في روايتك ولهذا فكرت في إخفاء الجثة حتى يتعرقل التحقيق ويتعرض رجال الشرطة لموقف صعب.

قالت ذلك وهي تنظر حولها في سعادة وسرور وأردفت تقول:

- لقد كانت فكرة رائعة وتنفيذها أكثر من رائع.

وعمت الدهشة الجميع وصاح مستر جيريمي يقول:

- إذن أنت التي فعلت هذا؟

فضحكت مسز بيك وكأنها ترقص طربا وقالت:

- إننا جميعا أصدقاء.. ومعي مفاتيح البيت وتمكنت من نقل الجثة.

- فقالت كلاريسا:

- أين إذن أخفيت القتيل؟

فانحنت مسز بيك قليلا إلى الأمام وقالت بصوت هامس:

- تحت الفراش.. في غرفة الضيوف.

- وكيف تمكنت من نقلها وحدك؟

- حملتها على كتفي.

- فقال سير رولاند:

- وماذا لو رآك أحد؟

- كان المفتش مشغولا في استجواب كلاريسا.. وكنتم جميعا في غرفة الطعام فتسللت إلى المكتبة عن طريق البهو وحملت الجثة.. وأغلقت الباب. وصعدت بالقتيل إلى ناحية غرفة الضيوف.

- فقال رولاند مذهولا:

- أنا لا أصدق هذا.

- فقالت كلاريسا:

وهل ستظل الجثة تحت الفراش إلى الأبد؟

فقالت مسز بيك:

- يكفي أن رجال البوليس سيجهدون أنفسهم طوال الليل ثم سينتقلون إلى البحث عنها في مكان آخر وهنا سنتخلص منها بدورنا.. وقد خطر لي أنني حفرت اليوم حفرة عميقة كالقبر ومن اليسير دفنها في هذه الحفرة ونضع عليها نبات البسلة.

- فهزت كلاريسا رأسها ونهض سير رولاند يقول:

- عفوا يا مسز بيك إن القبور تحتاج إلى تصاريح قانونية من السلطات الأمنية.

- فضحكت مسز بيك وقالت:

- هكذا أنتم أيها الرجال.. مثل المحامين تضعون العراقيل وتؤجلون الحلول .. أما نحن معشر النساء فإننا أكثر شجاعة منكم.. ولا نتردد على ارتكاب أي جريمة قتل إذا دعت الأمور.. أليس هذا صحيحا يا مسز كلاريسا؟

- فقال هوجو:

- لا تصدقي يا مسز بيك أن كلاريسا هي التي ارتكبت هذه الجريمة.

- ومن يكون إذن القاتل؟

* * *

ودخلت بيا فجأة قادمة من البهو.

كانت تبدو مرهقة ومتعبة من أثر النوم الطويل واستغربت كلاريسا وهرولت نحوها وهي تصيح:

- بيا!! ماذا جاء بك إلى هنا؟ لماذا غادرت مخدعك؟

- أوه.. إنني جائعة.

- لقد ظننت أنك نائمة.

- نمت وتعرضت لحلم مزعج.. وتخيلت أن شرطيا تسلل إلى غرفتي ونظر إلى فنهضت وأحسست بالجوع الشديد.. وأنا أخشى من هذا الحلم المزعج.

- ماذا رأيت أيضا في منامك؟

- قلت لك هذا الحلم المزعج عن أوليفر.

واقشعر بدنها فقال سير رولاند:

- بماذا حلمت يا بيا؟

- فأخرجت بيا من جيب ملابسها تمثالا من الشمع وراحت تقول:

- إنني صنعت هذا التمثال وأذبت الشمع وصنعت منها تمثالا ثم وضعت دبوسا في النار حتى احمر فطعنت به التمثال.

- وقدمت التمثال لسير رولاند فصاح جيريمي:

- أوه.. رباه.

ونهض من مكانه وهرع يبحث عن الكتاب القديم الذي اشترته بيا.

- وقالت الفتاة:

- إنني رددت الكلمات المذكورة ولا أعتقد أنني نجحت في إجراء التجربة. وانهمك جيريمي في البحث عن الكتاب حتى وجده في أحد الرفوف.. فتناوله وقدمه لكلاريسا وهو يقول:

- هذا هو الكتاب الذي تتكلم عنه.. أنا اشتريته اليوم من أحد باعة الكتب القديمة.

- تسلمت كلاريسا الكتاب وكان عنوانه مائة وصفة أكيدة للنجاح ثم تصفحته وهي تقرأ بصوت عال:

- كيف تمحو الزوائد الجلدية؟

كيف تحقق أحلامك؟

كيف تتخلص من عدوك؟

وصاحت في فزع:

- يا إلهي.. أهذا ما قمت به يا بيا؟

- نعم.

وتأملت كلاريسا التمثال وراحت الفتاة تقول:

- إنه لا يشبه أوليفر البتة.. وهذا ما تمكنت من صنعه.. ثم حلمت أنني جئت إلى هنا ورأيته ميتا وراء المكتب.. وأنني قتلته بعد أن غرست الدبوس في التمثال.. كما ورد

في الكتاب.. فهل مات حقا؟ هل قتلته؟

- فأجابت كلاريسا في حنان:

- كلا.. يا عزيزتي.. كلا.

- لكنه كان خلف المكتب.

فقال سير رولاند :هذا صحيح يا ببا أنت بريئة من قتله كل ما في الأمر أنك قتلت الخوف بداخلك من خلال قتلك للتمثال.

فرفعت الفتاة رأسها وقالت:

- نعم.. ولكني جئت هنا ورأيته بالفعل ميتا.. نعم أنا شاهدته، وارتمت على صدر سير رولاند وقال وهو يمسح على رأسها بيده:

- نعم يا عزيزتي.. لقد شاهدتيه وهو ميت.. ولكن أنت بريئة لم تقتليه اسمعيني يا ببا إن شخصا ما ضربه على راسه بعصا ثقيلة.. فهل أنت التي ضربتيه؟

- كلا.. أتقصد عصا ثقيلة.. أم مضرب جولف مثل مضرب جيريمي.

- عصا مثل عصا والدك.

- كلا.. أنا لم أقتله يا عمي رولاند.. أليس كذلك؟

فقالت كلاريسا في رقة:

- طبعا لم تقتليه يا حبيبتي.. والآن التهمي هذه الشطيرة ولا تفكري في أي شيء.

- فقالت مسز بيك:

ما معنى هذا؟ أنا لم أفهم ما تقولون.

فتناول جيريمي كتاب ببا وراح يتصفحه وقرأ فيه «كيف تقتل ابن جارك؟ هل يهمك هذا الأمر يا مسز بيك؟ أم أنك تفضلين موضوعاً آخر يتوائم معك مثلا.. كيف تحرقين حديقة جارك؟

- ماذا تقصد؟

- فقال جيريمي:

- هذا الكتاب عن السحر الأسود.

- أنا لا أؤمن بتلك الخزعبلات.

- فقال هوجو:

- إنني في حيرة.. أشعر كأني ضللت طريقي.

فقالت مسز بيك:

- هذا هو شعوري أيضا.. ولهذا سأذهب لأرى ماذا سيفعل رجال الشرطة وخرجت ضاحكة فقال سير رولاند:

- والآن .. ما هو الموضوع بالضبط؟

- فقالت كلاريسا: إنني شديدة الغباء.. فقد ظننت أن بيا تستطيع قتله ولهذا تحملت أنا مسئولية ارتكابها لهذه الجريمة وفي النهاية اكتشفت أنها لم تقم بذلك يا إلهي ما هذا الذي يحدث؟

- فصاح هوجو في دهشة:

- ظننت أن بيا

- نعم أيها العزيز.

- يا إلهي.. إن ذلك يفسر لنا كل شيء.

فقال جيريمي:

- المفروض أن نصارح الشرطة بكل شيء.

- فقال رولاند:

- كيف وقد روت كلاريسا ثلاث روايات مختلفة تماما.

- ونهضت كلاريسا في غضب تقول:

- لقد خطر لي هاجس.. ما هو اسم متجر سيلون يا هوجو؟

- كان متجراً للتحف.

- نعم أعرف ذلك.. ولكن ما هو الاسم المكتوب على لافته؟

- سيلون براون.

- صحيح.. سيلون براون وأنا اسمي مسز هيلشام براون.. وقد استأجرنا هذا البيت بإيجار رخيص جدا. بينما طلب هو من غيرنا إيجاراً عالي القيمة فأثار سخط الناس من حوله.. فماذا تفسرون ذلك؟

- فقال هوجو:

- أبدا لا شيء

- فقالت كلاريسا:

- كان لمستر سيلون شريكه في هذا المتجر واليوم اتصل بعضهم هاتفيا وقال إنه يريد أن يتحدث مع مسز براون.. لا إلى مسز هيلشام براون.

فقال رولاند: آه.. لقد فهمت ما تقصدين

- فقال هوجو:

- أما أنا فلم أفهم

- فقالت كلاريسا:

- إذن أحدهم قتل أوليفر.. والقاتل ليس منا.. وليس

هنري.. ولا بيا ولا أنا فمن يكون إذن؟

- فقال رولاند:

القاتل شخص ترقب أوليفر إلى هنا ثم قتله.

- ولكن ما هو السبب؟ حين رافقتك اليوم إلى ساحة الجولف وعدت ودخلت هذه الغرفة من الباب المؤدي للحديقة، شاهدت أوليفر واقفا بالقرب من المكتب، وقد دهش حين رآني.. وسألني ماذا تصنعين هنا يا كلاريسا؟ وتصورت أن هذا السؤال مجرد دعابة سخيفة منه.. ولكن لو أخذنا الأمور بمظاهرها وأنه كان بالفعل مندهشا فهذا يؤكد أنه كان يعتقد أن شخصا آخر كان يقيم هنا وأنه سيتقابل مع مسز براون التي كانت كما فهم هو شريكة مستر سيلون!

فعلق سير رولاند:

- ولكن هل كان يعلم أنك وهنري تعيشان هنا؟ ألم تكن ميراندا تعرف؟

- أنا متأكدة أنه لم يكن يعرف وميراندا أيضا فإن محاميه الخاص هو الذي يقوم بالاتصال بينها وبين هنري.. ولذلك فقد بهت أوليفر حين رآني وبعدها فاق من ذهوله.. وبرر قدومه إلى هنا ليتحدث بشأن بيا ثم تظاهر بالرحيل

عن هنا ثم عاد مرة أخرى.

- وقبل أن تستكمل كلامها دخلت مسز بيك تقول:

- لا يزال البحث مستمرا.. إنهم يفتشون في الحديقة.

- فوقفت كلاريسا أمامها تقول:

- هل تذكرين ماذا قال لنا مستر أوليفر قبل أن ينصرف يا مسز بيك؟

- أنا لا أذكر.

- ألم يذكر أمامك أنه جاء لمقابلة مسز براون؟

- نعم هو قال ذلك.. لماذا؟

- ولكنه لم يقصد لقائي بالذات؟

- فضحكت مسز بيك وقالت:

- إذن من كان يريد مقابلته غيرك؟

- لمقابلتك أنت.. فأنت مسز براون

فاستغربت بيك وارتبكت واختفت الابتسامة منها وقالت:

- أنت سيدة شديدة الذكاء.. أنا فعلا مسز براون.

- فقالت كلاريسا:

- وأنت شريكة مستر سيلون.. وورثت البيت والمتجر وكانت فكرتك أن تعثري على شخص اسمه براون لكي

يستأجر هذا البيت حتى عثرت على هيلشام براون ولا أدري لماذا لعبت دور البستانية وسلطت الأضواء على شخصي أنا.

- فقالت مسز بيك:

- إن مستر سيلون مات مقتولا.. وكان معه شيء نادر.. لا أعرفه.. ولا أعرف كيف حصل عليه، وكان سيلون مشبوها في سلوكياته.

- فقال سير رولاند:

- سمعنا عنه ذلك فعلا.

- فقالت مسز بيك: مهما يكن ذلك.. فإن سيلون قد قتل من أجل هذا الشيء ولكن القاتل لم يعثر على هذا الشيء النادر.. ربما لم يكن مخبوءاً في حانوته.. وربما كان هنا.. لذلك فأنا كنت أنتظر القاتل هنا.. لذلك أردت أن أضع هنا دمية تحمل اسم مسز براون لكي أتمكن من مراقبة وملاحظة قدوم القاتل.

- فقال سير رولاند:

- هل فكرت أن ذلك من شأنه أن يعرض مسز هيلشام براون للمخاطر؟

- فأجابت مسز بيك:

- هل لاحظت أنني تخليت عنها في محنتها؟ هل تركتها تغيب عن بصري لحظة واحدة؟ كنت أحوم حولها كالفراشة وهذا أزعجكم أحيانا.. لهذا حين جاء أحدهم يشتري الكتب أمسكت بطرف الخيط ومشيت في الطريق الصحيح حيث إن المكتب لا يستحق كل هذا الاهتمام.

فسألها سير رولاند:

- هل فتشت الدرج السري؟

- وهل في المكتبة درج سري؟

- فأجابت كلاريسا :لقد تمكنت بيا من اكتشاف مكان لدرج يضم به توقيعات بعض الساسة والنجوم الشهيرة في الفن والأدب.

- فقال سير رولاند: هل يمكنني رؤية هذه التوقيعات مرة أخرى؟

- فالتفتت كلاريسا ناحية بيا وقالت:

- بيا.. أين وضعت.. أوه إنها نامت!

- فعلقت مسز بيك:

- يبدو أن أحداث الليلة قد أجهدتها دعوني أحملها إلى فراشها وانحنت فوق بيا، وهمت لحملها حتى نهض سير رولاند قائلا:

- كلا .. كلا.

- لماذا إنها خفيفة ووزنها لا يزيد على ربع وزن مستر كوستيللو.

- حسنا .. ولكن وجودها هنا أفضل لنا ولها.

- تضايقت مسز بيك وقالت:

لماذا تخشون عليها هكذا؟

فقال رولاند: لأن هذه الفتاة قد نطقت بعبارات خطيرة منذ قليل؟

فصاح هوجو وماذا قالت:

فعاد رولاند يقول: إذا فكرت جيدا فإنك حتما ستعرف ماذا أقصد؟

فنظر الجميع إليه في قلق وهو يتصفح كتاب «عظماء بريطانيا» وهز هوجو رأسه وقال:

- لقد فكرت وللأسف لم أصل إلى شيء ورفع سير رولاند رأسه وأغلق الكتاب وصاح:

- اوه.. أين التوقيعات؟

- فقال هوجو: أنا أتذكر الآن أن بيا وضعتها أمامنا في هذا الصندوق الصغير الموجود بين الكتب على الرف.

فهرول جيريمي ناحية المكان الذي أشار إليه هوجو وأخرج الصندوق وفتحه وأطل منه وقال:

- حسنا .هذه هي التوقيعات.

وأخرج الأوراق التي تزينت بالتوقيعات من المظروف وقدمها إلى سير رولاند وتناول المظروف ووضعه في جيبه وتأمل سير رولاند التوقيعات باهتمام وقال:

- أوه.. إن هذا توقيع الملكة فيكتوريا.. وهو بالفعل توقيعها.. يا إلهي إن هذا أيضا التوقيع الصحيح للشاعر العظيم براوننج مكتوب بحبر باهت يؤكد انه صحيح وغير مزور.

ثم إن توقيع جون راسكين حقيقي أيضا.. لكن ما يلفت الانتباه أن الورقة المكتوب عليها هذا التوقيع ليست قديمة كما يجب أن تكون أليس كذلك؟

فسألته كلاريسا في لهفة:

- ماذا تقصد يا سير رولاند؟

- إنني خبير في شئون الأحبار السرية والشفرة وغيرها في أثناء الحرب العالمية.. والمعنى أن أي إنسان إذا رغب في أن يبعث برسالة إلى أي أحد دون أن يعرف أحد مضمونها أو يطلع عليها أو مذكرة سرية مثلا أو خطاب في

إدارة مخابرات أو قرار خطير من رئيس الجيش إلى أحد قواده فما عليه سوى أن يكتب ما يريد كتابته من خلال الحبر السري على إحدى الأوراق البيضاء ثم يقوم بتزوير أي أحد من العظماء على الورقة بحبر ظاهر فتبدو للناظرين كأنها ورقة مما يهتم هواة جمع التوقيعات بها .

- فعلقت مسز بيك تقول:

- ولكن ما هو الشيء الذي كتبه سيلون ويستحق أربعة عشر ألفا من الجنيهات.

- فأجاب رولاند:

- لا شيء يا سيدتي.. ولكن ربما يكون قد كتب معلومات سرية لا يريد أن يفصح عنها لأي أحد مهما كانت درجة قرابته أو صداقته أو علاقته به.

- تقول معلومات سرية؟

- نعم.. فأنا الآن أحاول الربط بين سيلون وكوستيللو حيث إن الأخير كان معروفا أنه من كبار تجار المخدرات المعروفين لرجال المكافحة البوليسية كما أن سيلون أيضا قد حامت حوله الشبهات أكثر من مرة لذلك لا أستبعد أن تكون هناك علاقة وثيقة سرية بين الرجلين وهذا مجرد هاجس لا أكثر ولا أقل، ثم إنني لا أتوقع أن سيلون كان

عبقريا إلى هذا الحد..ربما أنه استخدم عصير الليمون أو كلوريد الباريوم.. وكلاهما يمكن إظهاره على نار هادئة هل توافقون على أن نقوم نحن بهذه التجربة؟

فصاحت كلاريسا:

نعم.. نعم.. لدينا في المكتبة موقد كهربائي صغير.. هل أحضرته يا جيريمي؟ فهرع جيريمي ناحيته وأحضره

وقال سير رولاند وهو يشعل الموقد:

- يجب ألا نتفاءل.. هذه مجرد فكرة مسلية معرضة للنجاح والفشل ولكن لابد أنه كان لدى سيلون سبب منطقي دفعه للاحتفاظ بهذه الأوراق في أحد الأدراج السرية

- فقال جيريمي:

- اي أوراق تود أن ترغب في البدء بها؟

- فقالت كلاريسا:

- ورقة الملكة فيكتوريا

- فقال جيريمي ضاحكا:

- أما أنا أراهن على ورقة راسكين

- فقال سير رولاند:

- أما أنا فأراهن على براونتج

فقال هوجو:

- إنه كان شاعرا سخيفا.. لم أفهم من شعره كلمة واحدة.

- فقال رولاند:

- تماما.. كانت عباراته شديدة التعقيد

والتفت الجميع حول السير وقالت كلاريسا:

- في ظني أنها ستكون تجربة فاشلة وسوف أنهار على أثرها.

- فعقب رولاند وهو يحرك الورقة ببطء شديد فوق اللهب:

- يبدو أنك لن تتعرض للانهيار

- فصاح جيريمي:

- ها هي الكلمات بدأت تظهر

وصاحت مسز بيك وهي تحاول النظر إلى هذا الأمر الخطير:

- أروني ماذا كتب فيها؟

- فأجاب سير رولاند: إنها قائمة تنطوي على أسماء أشهر تجار المخدرات ومن بينهم اسم أوليفر كوستيللو.

فبهت الجميع وصاحت كلاريسا:

- أوليفر.. إذن فقد حضر إلى هنا من أجل البحث عن هذه الورقة فتعقبه أحدهم يجب أن نخبر البوليس يا سير رولاند.. تعالى اصحبني يا هوجو وانطلقت مسرعة وتبعها هوجو.. بينما حمل جيريمي الموقد الكهربائي وذهب به إلى المكتبة.

لكن سير رولاند فقد وضع الأوراق في جيبه ونهض ليلحق بكلاريسا إلا أنه التفت نحو مسز بيك قائلا:

- ألا تأتين معنا يا مسز بيك؟

- وهل تحتاجون وجودي؟

- نعم.. فأنت كنت شريكة لمستر سيلون.

- ولكن لا أعرف شيئا عن المخدرات فقد كانت شركتنا متعلقة بالتحف وعمليات بيعها وشرائها في لندن.

فخرج سير رولاند وفي أعقابها خرجت مسز بيك بعد أن رمقت الفتاة بيا النائمة بنظرة طويلة.

وبعد دقائق عاد جيريمي من المكتبة ووقع بصره على وسادة كانت موضوعة على أحد المقاعد.. وسار ببطء حتى اقترب من الأريكة.

وتحركت بيا أثناء ذلك فتسمر جيريمي في مكانه حتى

توقفت عن الحركة ثم واصل السير نحوها في هدوء ثم رفع يديه وهم يكتم أنفاسها إلا أن كلاريسا دخلت فجأة وصاحت وهي تغلق الباب وراءها:

- هالو.. جيريمي:

وبهدوء.. وضع جيريمي الوسادة على قدمي بيا وراح يقول:

- لقد تذكرت ما ردده سير رولاند.. ورأيت أن الأفضل الا نتركها بمفردها وكانت باردة فقمت بتغطيتها.

- فقالت كلاريسا:

- إنني أشعر بالجوع الشديد يا جيريمي؟

ونظرت إلى صفحة الشطائر وصاحت:

- يا إلهي.. أين شطائر اللحم.. هل التهمتها كلها يا جيريمي؟

- أنا آسف يا كلاريسا.فقد كنت جائعا.

- لماذا..؟ ألم تفرغ من تناول العشاء في النادي؟

- كلا.. كنت مشغولا في لعب الجولف ودخلت قاعة الطعام أثناء تلقي سير رولاند تليفونك.

فقال:

- آه.. إذن هذا هو السبب

وانحنت فوق الأريكة لتصلح الوسائد وفجأة تجمدت مكانها وهمست لنفسها قائلة:

- يا إلهي أهو أنت!!

- ماذا؟

- ماذا كنت تفعل يا جيريمي بهذه الوسادة لحظة دخولي إلى هنا فجأة؟

- كنت أستر بها قدمي بيا حماية لها من البرد.

- أهذا ما كنت تقصده فعلا؟ أم أنك كنت تنوي وضعه الوسادة على فمها.

- كلاريسا!!

- إنني سبق وأن قلت أن أحدا منا مستحيل أن يكون قاتل أوليفر إلا أن الواقع يؤكد أن القاتل منا.. وهذا القاتل هو انت..انك كنت بمفردك في ساحة الجولف.وكان بمقدورك العودة إلى البيت وتدخل قاعة الاستقبال من خلال الحديقة الذي تعمدت أن تتركه مفتوحا.. وكان مضرب الجولف في يدك.. وشاهدته بيا.. وعبرت عن ذلك حين قالت: «مضرب جولف كمضرب جيريمي» إنها شاهدتك يا جيريمي

- أنت مجنونة يا كلاريسا.

- كلا.. بعد أن قمت أنت بقتل أوليفر.. عدت إلى النادي ثم اتصلت هاتفيا برجال البوليس لكي يحضروا ويعثروا على الجثة ليشيروا بأصابع الاتهام ضدي أنا أو هنري أو نحن معا.

- فصاح جيريمي:

- كذب.. هذا افتراء.. وجنون منك يا كلاريسا.

- بل هي الحقيقة.. أنا متأكدة لكن لماذا بربك لماذا؟ أريد أن أفهم؟

- فأجاب وهو يخرج المظروف من جيبه ويقترب منها

- كان من أجل هذا المظروف.

فمدت يدها تحاول أن تأخذ منه المظروف ولكنه رفض فقالت:

- أهذا هو المظروف الذي يضم التوقيعات؟

- إن عليه طابع بريد يضم خطأً مطبعياً وكان هناك طابع من السويد مشابه له تم بيعه في العام الماضي بنحو أربعة عشر ألفا من الجنيهات.

- فقالت كلاريسا وهي تتراجع في ذعر:

- أهذا هو السبب يا جيريمي؟!

- إن هذا الطابع وقع في يد سيلون.. وقد كتب عنه من خلال رسالة بعث بها إلى الرجل الذي أعمل له سكرتيرا.. وقد قرأت الخطاب وجئت من أجل لقاء سيلون.

- وقتلت سيلون.. إلا أنك فشلت في العثور عليه.

- لم أجده في المتجر فظننت أنه هنا.

- واقترب منها فعاد إلى الوراء.

- فقال مستطرداً:

- الليلة .. تصورت أن كوستيللو قد سبقني إليه.

- لهذا قمت بقتله أيضا؟

- فهز رأسه بالإيجاب.

فعادت كلاريسا تقول:والآن أردت أن تتخلص من بيا؟

- ولماذا لا أقتلها؟

- أنا في ذهول مما تقول يا جيريمي.

- كلاريسا يا عزيزتي.. إن أربعة عشر ألفا من الجنيهات مبلغ رهيب وكبير.

- ولكن لماذا اعترفت لي بكل هذه المعلومات.. أظننت أنني سأتستر عليك ولا أقوم بإبلاغ الشرطة.

- إنهم لن يصدقونك؟

- كلا.. سوف يصدقونني.

- ولماذا وأنا سأتخلص منها لقد قتلت اثنين فلماذا سأتردد في ارتكاب جريمة ثالثة.

وانقض عليها كأسد عثر على فريسته وغرس مخالبه في عنقها ولكنها صرخت.

- وعلى الفور دخل سير رولاند من البهو.

وتبعه المفتش والرقيب معا.

وصاح رولاند.. يا إلهي ما هذا أيها الوغد.

وأمر المفتش الرقيب بسرعة اعتقاله.

★ ★ ★

الفصل العاشر

وصاح المفتش وهو يمسك ذراع جيريمي:

- أشكرك يا جيريمي.. هذا هو البرهان الذي كنا نبحث عنه وكنا في أشد الحاجة إليه.. أعطني هذا المظروف.

وارتمت كلاريسا على المقعدة وهي تتحسس عنقها التي هجم عليها جيريمي بمخالبه.

وقال جيريمي وهو يسلم المظروف إلى المفتش:

- هذا فخ إن دل إنما يدل على البراعة.

فقال المفتش في حزم:

- جيريمي وارندر.. إنني ألقي القبض عليك بتهمة قتل أوليفر كوستيللو وأحذرك من ارتكاب أي جريمة أخرى الآن تحرك معي في هدوء.

فقال جيريمي متظاهرا بالهدوء:

- لقد كان الأمر يستحق كل هذه المجازفات.

وتقدم الرقيب منه مرة أخرى واقتاده إلى الخارج بينما أسرع سير رولاند إلى كلاريسا وراح يسألها في حنان ورقة:

- هل أنت بخير الآن يا كلاريسا؟

- نعم.. نعم.. أشكرك.

- كنت أرجو ألا تتعرضين لهذا الموقف أبدا..

- هل كانت لديك فكرة عن القاتل؟

- نعم.

- فسأله المفتش:

- خبرني يا سيد رولاند..لماذا فكرت في طابع البريد؟

فأجاب سير رولاند في حماس وهو يتناول المظروف من يد المفتش:

- لقد تسربت الشكوك إلى نفسي حين سلمتني بيا هذا المظروف وتضخمت بداخلي هذه الظنون حين وجدت في كتاب «دليل عظماء بريطانيا» أن سير لازاريوس شتاين هو أحد أشهر هواة جمع الطوابع.

- وتأكد لي لحظتها حين شاهدته يضع المظروف في جيبه بجرأة وسخافة أمامي دون أدنى اعتبار لوجودي، وأعاد رولاند المظروف إلى المفتش وأردف يقول:

- أرجو أن تحرص عليه أيها المفتش فربما كانت له قيمة مستقبلا ثم لا تنسى أنه أهم أدلة الإدانة لهذا السفاح.

- بل هو دليل خطير.. ياله من سفاح.

ثم أردف يقول:

والآن بقيت لدينا مشكلة وهي البحث عن الجثة.

فأجابت كلاريسا:

- لا تقلق يا سيدي المفتش.. ابحث عنها تحت الفراش في غرف الضيوف فنظر إليها مستغربا وهو يقول:

- أهي لعبة جديدة يا مسز هيلشام براون؟

- رباه.. لماذا لا يصدقني أحد.. إن مسز بيك أخفتها خدمة لي وأنا الآن متأكدة من وجودها هناك.

- فقال وهو يمط شفتيه في غضب:

- خدمة لك؟! ماذا تقصدين يا مسز هيلشام براون من كل هذه القصص الخيالية التي لاهم لها سوى تضليلنا وخداعنا.

أفهم أنك تفعلين كل هذه الأشياء من أجل لفت أنظارنا بعيدا عن زوجك الذي شككت في دوره لارتكاب هذه الجريمة ولكن كان يجب ألا تتستري عليه إذا كان متهما يا مسز براون؟

وانصرف المفتش الغرفة واقتربت كلاريسا من الأريكة لإيقاظ بيا فقال سير رولاند:

- يجدر بك أن تذهبي بها إلى غرفتها لتكون آمنة.

- فصاحت كلاريسا وهي تحرك بيا بأدب شديد:

- سأبحث لك الآن عن أي طعام.. هيا معي يا بيا.

وما أن تحركا معا حتى أقبل هوجو وهو يقول:

- يا إلهي.. مستحيل من يصدق هذا؟ شاب لطيف وسيم مثقف على علاقة وثيقة بجميع المشاهير والشخصيات الكبيرة يفعل ذلك.

- لكنه سافل ارتكب جريمتين قتل من أجل تكوين مبلغ أربعة عشر ألفا من الجنيهات.. وهذا وارد بين بعض الناس بغض النظر عن الوسامة والجاذبية والثقافة والعلاقات العامة.

- ودخلت مسز بيك في هلع تقول:

أوه يا إلهي.. يبدو أن الدور قد أصابني أنا أيضا.. فالمفتش يريد استجوابي في مركز البوليس من أجل إخفاء الجثة.

- ودخل المفتش في أعقابها على الفور وراح يتحدث إلى سير رولاند.

- إننا سوف نقوم بنقل الجثة يا سيدي.

حسنا أيها المفتش.

- أرجو أن تسدي النصائح لمسز هيلشام براون إنها إذا استمرت على هذا الأسلوب الخيالي فسوف ترتكب جرائم فادحة في حق نفسها وحق مجتمعها وعليها أن تتوقف عن هذا الأسلوب الصبياني.

- الحقيقة أنها أفضت إليك بالحقيقة مرة واحدة ولم تصدقها.

- ذلك أن ما روته كان من الصعب على أن أصدقه وأستوعبه.. مساء سعيد يا سير رولاند.

- فقال هوجو أظن أنني في حاجة شديدة إلى أن أوي إلى الفراش فأنا في حالة من الإجهاد الشديد.

- على مهلك يا هوجو.. انتظر قليلا.

* * *

وما أن انصرف المفتش وهوجو حتى عادت كلاريسا ودخل هنري من باب الحديقة في نفس اللحظة فصاحت كلاريسا في دهشة وفزع:

- أوه... هنري!!

وارتمت على صدره فقال هنري وهو ينظر ناحية سير رولاند:

- ماذا.. لقد ظننتك ستذهب إلى النادي هذا المساء يا رولاند.

- نعم إنني ذهبت وعدت إلى هنا مبكرا كانت ليلة مرهقة بعض الشيء.

- هل لعبتم البريدج؟

- فابتسم رولاند في استخفاف وهو يقول:

البريدج وأشياء أخرى إلى جانبه.. دعني الآن أصعد إلى غرفتي ليلة سعيدة يا هنري.. ليلة سعيدة يا كلاريسا.

نظرت إليه كلاريسا وهي تبتسم في حنان الابنة ثم التفتت إلى زوجها تقول:

- هيه.. أين مستر جونز؟

- فأجاب هنري وهو يتنهد:

- إنه للأسف.. تخلف عن الحضور.

- ماذا؟

- وصلت الطائرة وكان على متنها سكرتيره الخاص وعاد أدراجه على نفس الطائرة.

- لماذا؟

- لا أدري.

- وسير جون؟

- حتى هذا لا أعرف عنه أي شيء ولكن ما يقلقني حقا هو أنه سير جون هذا قد يحضر إلى هنا في أي لحظة وقد اتصلت به من المطار فقال لي سكرتيره إنه انصرف منذ قليل في طريقه إلى هنا.

أثناء هذا دق جرس الهاتف فهرولت كلاريسا ناحيته وهي تقول:

- دعني أرد أنا يا هنري.. قد يكون المتحدث هو أحد رجال المباحث الجنائية.

- فقال هنري في فزع:ماذا؟ تقولين رجال البوليس

وتجاهلت كلاريسا دهشته وأمسكت بسماعة الهاتف وهي تقول:

- مطار بندلي هيث.

وهرع هنري وخطف السماعة من كلاريسا وصاح يقول:

- نعم.. ماذا؟ بعد عشر دقائق من الآن؟ حسنا.. سأحضر الآن سوف أقود سيارتي نعم... نعم.. أنا في طريقي إليك.

ووضع السماعة وقال بسرعة يحدث كلاريسا:

– لقد هبطت طائرة أخرى بعد الطائرة الأولى بحوالي عشر دقائق.. وعلى متنها مستر كالندروف.

– تقصد مستر جونز!!

– نعم يا حبيبتي.. يبدو أن الطائرة الأولى كانت للتمويه والخداع الحقيقة أنني لا أدري كيف يفكر هؤلاء الأوغاد.. إنه الآن في طريقه إلى هنا بواسطة إحدى السيارات.. هل كل شيء هنا على ما يرام يا كلاريسا؟

وطاف هنري ببصره حوله وهو يقول في غضب ودهشة:

– ما هذه الفوضى؟ لقد توقعت أنني سأجد كل شيء منظم.

ماذا فعلت إذن طوال هذه الأمسية؟ هل انهمكت فقط في ممارسة لعبة البريدج مع الأصدقاء؟ أين مسئوليتك يا كلاريسا؟ أين دورك كزوجة رجل دبلوماسي؟ لماذا أهملت شئون بيتك؟ أيروق لك هذا إنها مهزلة بل وفوضى إن المنزل تحول إلى صالة بريدج وناد ليلي.. إنه ليس منزل دبلوماسي.

وأمام هذه الطلقات النارية التي أطلقها هنري راحت كلاريسا تقول في هدوء واضطراب وقد تشابكت أصابعها خجلا:

– أنا آسفة يا حبيبي.. الحق أننا عشنا ليلة عصيبة مليئة بالأزمات مشحونة بالتوتر.. عقب انصرافك.. قمت بتجهيز الشطائر وأحضرتها إلى هنا وكان أول ما حدث أنني تعثرت بجثة خلف المكتب وكدت أقع فوقها.

– فقال هنري وهو في ذهول:

– هذا حسن.. إن قصصك كلها طريفة يا كلاريسا.. ولكن هذا ليس وقته الآن.

فرفعت كلاريسا عينيها إلى السماء وصاحت:

أوه.. يا إلهي.. الا يصدقني أحد.. لماذا يتهمني الناس بالكذب دائما... رباه إنني صادقة... صادقة... صادقة.

★ ★ ★

